جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

من آيات النعم في سورة النحل

(دراسة تحليلية موضوعية)

إعداد الدكتورة

شيرين السيد مصطفى الشحات

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

من آيات النعم في سورة النحل (دراسة تحليلية موضوعية)

شيرين السيد مصطفى الشحات

قسم التفسير وعلوم القرآن، شعبة أصول الدين، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، المنصورة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: shreenelshahat372.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث

أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن وتأويله، لأن موضوعه كلام الله تعالى: الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، والغرض منه: التمسك بالعروة الوثقى التي لانفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقة التي لا فناء

لها وقد توقفت كثيراً عند آيات قرآنية عديدة نزلت لتعدد بعض النعم التي أنعم الله بها على عباده، فأنعمه

لا تعد ولا تحصى فجاء هذا البحث بعنوان: "**من آيات النعم في سورة النحل دراسة تحليلية موضوعية**"

وقضت طبيعة بحثي هذا أن يأتي على الوجه الآتي: مقدمة وتمهيد، ومقصد، وخاتمة.

أما المقدمة فقد تناولت فيها نبذة يسيرة عن تفسير القرآن الكريم وأهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه وخطة البحث، ومنهجي فيه.

وأما التمهيد فيشتمل على ستة مطالب قدمت بها بين يدي تفسير السورة الكريمة وهي كما يلي:

- **المطلب الأول:** أسماء السورة الكريمة ووجه التسمية.
- **المطلب الثاني:** عدد آياتها وكلماتها وحروفها.
- **المطلب الثالث:** هل هي مكية أو مدنية؟
- **المطلب الرابع:** سبب نزول السورة.
- **المطلب الخامس:** نزول السورة. **المطلب السادس:** مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

وأما المقصد فقد تضمنته التفسير التحليلي لبعض آيات النعم من سورة النحل، وقسمته إلى ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** نعمة الخلق.
- **المطلب الثاني:** نعمة الإمداد.
- **المطلب الثالث:** نعمة تسخير البحر.

ثم ختمت البحث بخاتمة موجزة، فيها خلاصة فكرته، وإجمال مفصله مشتملة على أهم النتائج والتوصيات، وقفيت ذلك بثبت للمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات.

الكلمات المفتاحية للبحث: من آيات النعم، سورة النحل، التفسير التحليلي للآيات، التفسير الموضوعي.

والله ولي التوفيق

From the Verses of Blessings in Surat Al-Nahl (An Objective Analytical Study)

Sherine El-Sayed Mostafa El-Shahat.

Department Interpretation and Qur'anic Sciences, Division of Fundamentals of Religion, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Mansoura Girls, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail: shreenelshahat372.el@azhar.edu.eg

Abstract:

The most honorable art that man engages in is the interpretation and interpretation of the Qur'an, because its subject is the word of God Almighty: who is the source of all wisdom, and the source of every virtue in which there is news from before you and news of what comes after you, and the judgment of what is between you. To her, and access to true happiness that has no end

I paused a lot on several Quranic verses that were revealed to enumerate some of the blessings that God bestowed upon His servants.

Countless. This research came under the title: "From the Verses of Blessings in Surat Al-Nahl, An Objective Analytical Study".

The nature of my research required that it come as follows: an introduction, a preface, an intent, and a conclusion.

As for the introduction, it dealt with a brief overview of the interpretation of the Holy Qur'an, the importance of the topic and the reasons for it.

Its selection, objectives, research plan, and methodology. As for the introduction, it includes six demands that I presented before the interpretation of the noble surah, and they are as follows:

- **The first requirement:** The names of the noble surah and the face of the name. The second requirement: the number of its verses, words and letters.

- **The third requirement:** Is it Meccan or civil? The fourth requirement: the reason for the revelation of the surah.

The fifth requirement: the revelation of the surah. The sixth requirement: the appropriateness of the surah before and after it.

As for the purpose, it was included in the analytical interpretation of some verses of blessings from Surat Al-Nahl, and divided it
into three demands:

- **The first requirement:** The blessing of creation.
- **The second requirement**: The blessing of supply.
- **The third requirement:** The blessing of harnessing the sea.

Then I concluded the research with a brief conclusion, in which it contains a summary of its idea, and a summary of its details, including the most important results.

and recommendations, and I stood by the sources and references and an index of topics.

Keywords: from the Verses of Blessings, Surat Al-Nahl, The Analytical Interpretation of the Verses, Thematic Interpretation.

God Grants Success

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ

الحمد لله الذي سخر لنا ما في السموات وما في الأرض، وأسبغ علينا نعمه ظاهره وباطنه، حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾(١)، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم، والرسول العظيم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين **وبعد**،،،

فإن القرآن الكريم، انزله الله رب العالمين، على قلب سيد المرسلين ليهدي الناس إلى صراط الله المستقيم، ودنيه القويم، وشرعه الحكيم، وهذا الكتاب القيم، هو روح الحياة، ونورها، وفيه عز الأحياء وسعادتهم وذكرهم وشرفهم، إن تمسكوا به وساروا على هديه، واتبعوا شريعته، وفي ذلك يقول منزل هذا الكتاب العظيم: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾(٢).

لهذا كان متعلم القرآن ومعلمه من خير المؤمنين كما أخبرنا الصادق الأمين صلوات الله عليه فهو القائل: ﴿**خيركم من تعلم القرآن**

(١) سورة الإسراء: الآية (٩).

(٢) سورة الشورى: الآية (٥٢).

وعلمه ﴾[1].

قال الإمام الأصفهاني: "أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن وتأويله، لأن موضوعه كلام الله تعالى: الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، والغرض منه: التمسك بالعروة الوثقى التي لانفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقة التي لا فناء لها"[2].

فكل كمال ديني أو دنيوي مفتقر إلى العلوم الشرعية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

ومن ثم كان الاشتغال بتفسير كتاب الله المجيد تحصيلاً للحكمة التي تفتح على صاحبها كل خير ونعمة قال تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾[3].

قال ابن جرير: "اختلف أهل التأويل في ذلك: فقال بعضهم: الحكمة التي ذكرها الله في هذا الموضع هي القرآن والفقه به ... وقيل: الإصابة في القول

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، كتاب: فضائل القرآن، باب: ﴿**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**﴾ (٦/١٩٢ ح٥٠٢٧).

(٢) ينظر "بتصرف": تفسير الراغب الأصفهاني، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب-جامعة طنطا، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١/٣٦).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٦٩).

والعمل ... وقيل: هو العلم بالدين وقيل: العلم والفقه والقرآن"[1].

لذا فقد تبين لنا أن الكنوز الطيبة الرائعة فيما تركه لنا سلفنا الصالح في تفسير آيات هذا الكتاب العزيز هؤلاء الأبرار الذين منحهم الله قرائح متوقدة، وعقولا رصينة ووهبهم الدقة في استنباط ما في القرآن الكريم من حكم وأحكام وأسرار ورزقهم الإصابة في ذلك كله لما علم لهم من حسن النية، وصدق الإخلاص وطلبهم العلم لله.

وقد استفدت من تلك الجهود الطيبة المشكورة، لهؤلاء الأعلام وأشرت– في إجلال وإكبار– إلى المصادر العلمية التي أخذت منها ما يفيد في هذا التفسير، وقد تعلمنا من أساتذتنا أن من بركة العلم أن ينسب القول إلى قائله.

وقد توقفت كثيراً عند آيات قرآنية عديدة نزلت لتعدد بعض النعم التي أنعم الله بها على عباده، فأنعمه لا تعد ولا تحصى، والناس أمام هذه النعم نوعان:

نوع: عرف قدر النعمة وفضل من أنعم بها فقابلها بالشكر واستعمالها في مرضاة الله تعالى.

ونوع: تغافل عن النعمة وتعامى عنها وهو يتقلب فيها ويستمتع بها، ونسى فضل ربه واستعملها في غير مرضاته.

فأردت أن أكتب بحثاً في هذا الموضوع الذي أراه من أهم جوانب التفسير التحليلي والموضوعي فجاء هذا البحث بعنوان: "**من آيات النعم في سورة النحل دراسة تحليلية موضوعية**".

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م (٥/٥٧٦).

أهمية الموضوع:

أولاً: تنبع أهمية الموضوع من تناوله لموضوع تحدث عنه أشرف الكتب على الإطلاق وهو القرآن الكريم ومن ثم تناول البحث تفسير بعض آيات النعم في سورة النحل.

ثانياً: هذه النعم يتمتع بها الناس صباحاً ومساءً ومع ذلك يغفلون عن شكرها.

ثالثاً: الرغبة في تعداد بعض أنعم الله من خلال هذه السورة الكريمة وإلقاء الضوء عليها.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد دفعني إلى اختيار البحث في هذا الموضوع جملة من الأسباب منها:

أولاً: مشيئة الله تعالى وإرادته وتوفيقه قال (ﷻ):﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[1].

ثانياً: تناولت سورة النحل العديد من نعم الله (ﷻ)، فأردت الوقوف عند بعض هذه النعم وإلقاء الضوء عليها.

ثالثاً: اشتمال تفسير الآية الكريمة على عدد من الفوائد واللطائف المهمة.

رابعاً: إيماني بأن موضوع هذا البحث هو أَجَلُ ما يصرف فيه طالب العلم وقته وجهده، ذلك لأنه مرتبط بكلامِ الله تعالى، فهو أعظم ما صُرِفَتْ فيه الأعمار.

خامساً: إدراك جمال الأسلوب القرآني من خلال موضوع البحث.

أهداف البحث:

١- هذا البحث يلفت أنظار المسلمين إلى بعض نعمه تعالى على عباده فيقوموا بشكر المنعم (ﷻ) قولاً و عملاً.

---

(١) سورة الإنسان: الآية (٣٠).

٢- يتضمن البحث بيان الأسلوب القرآني في عرض نعمه تعالى على عباده وبذلك يعرف المسلم كرم الله تعالى عليه وإحسانه إليه، فهو (ﷻ) يعرض هذه النعم لكي يتأملها العبد ببصيرة حاضرة وقلب سليم فيعرف كرم ربه عليه وإحسانه إليه.

منهج البحث:

سأقوم بعون الله وتوفيقه وتيسيره في بحثي هذا على النحو الآتي:

اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج التحليلي، الذي يقوم على تحليل النص تحليلاً وافياً، ويتعرض لكل ما يتعلق بالآية الكريمة من كل جهة، واتبعت في كتابته الخطوات التالية:

قمت بإعداد دراسة عامة عن سورة النحل وقوفاً بين يدي السورة الكريمة.

أولاً: أعرض الآيات التي تناولت النعم في سورة النحل وعنونت لكل مقطع أو مجموعة آيات بعنوان مناسب.

ثانياً: قمت بذكر علاقة الآيات بما قبلها.

ثالثاً: قمت بعرض ما تيسر من معاني المفردات والمسائل التفسيرية واللطائف البيانية.

رابعاً: أذكر آراء علماء التفسير في الآية.

خامساً: أقوم بعزو الآيات القرآنية بكتابة اسم السورة ورقم الآية مع الالتزام بكتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني.

سادساً: تخريج الأحاديث من مصادرها: وذلك من كتب السنة، فإن كان الحديث في البخاري ومسلم اكتفيت بذكرهما ؛ لأنهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وإن لم أجدْ فيهما، فأقوم بتخريجه من كتب السنة وأذكر في التخريج الكتاب والباب والجزء ورقم الصفحة ورقم الحديث إن وجد، مع ذكر أحكام الأئِمة على هذه الأحاديث إن وجد.

سابعاً: إضافة النصوص إلى قائليها بشكل دقيق فمن بركة العلم أن ينسب كل قول إلى قائله.

ثامناً: تحرير المصطلحات، والحدود والتعريفات. **تاسعاً:** ترجمة الأعلام المغمورين.

عاشراً: اعتنيت بالقواعد الإملائية، والفواصل البيانية، وعلامات الترقيم، على قدر الاستطاعة، فبها يستقيم الكلام.

الحادي عشر: كتابة الأحاديث بخط مميز.

الثاني عشر: أذكر المصادر والمراجع العلمية التي رجعت إليها في الهامش، مع ذكر اسم المؤلف والطبعة وتاريخ الطباعة في الهامش عند ذكرها لأول مرة.

الثالث عشر: الخاتمة وبينت فيها نتائج البحث والدراسة والتوصيات التي خرجت بها منه ثم ذكرت ثبت المصادر وفهرس الموضوعات.

وقضت طبيعة بحثي هذا أن يأتي على الوجه الآتي: مقدمة وتمهيد، ومقصد، وخاتمة.

أما المقدمة فقد تناولت فيها نبذة يسيرة عن تفسير القرآن الكريم وأهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه وخطة البحث، ومنهجي فيه.

وأما التمهيد فيشتمل على ستة مطالب قدمت بها بين يدي تفسير السورة الكريمة وهي كما يلي:

- **المطلب الأول:** أسماء السورة الكريمة ووجه التسمية.
- **المطلب الثاني:** عدد آياتها وكلماتها وحروفها.
- **المطلب الثالث:** هل هي مكية أو مدنية؟
- **المطلب الرابع:** سبب نزول السورة.
- **المطلب الخامس:** نزول السورة.
- **المطلب السادس:** مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

وأما المقصد فقد تضمنته التفسير التحليلي والموضوعي لبعض آيات النعم من سورة النحل، وقسمته إلى ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: نعمة الخلق. ويشتمل على ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: خلق السموات والأرض.

المسألة الثانية: خلق الإنسان.

المسألة الثالثة: خلق الأنعام.

المطلب الثاني: نعمة الإمداد. ويشتمل على أربع مسائل:

- المسألة الأولى: نعمة نزول المطر. المسألة الثانية: نعمة النبات

المسألة الثالثة: نعمة تسخير الليل والنهار. المسألة الرابعة: نعمة تسخير الشمس والقمر

- المطلب الثالث: نعمة تسخير البحر. ويشتمل على ثلاث مسائل:
- المسألة الأولى: تسخير البحار.
- المسألة الثانية: إلقاء الرواسي في الأرض والأنهار.

المسألة الثالثة: الاهتداء بالنجوم في البر والبحر.

وفي كل مطلب من المطالب السابقة أقوم بتفسير مقطع من مقاطع السورة الكريمة ذاكرة ما يلي:

أولاً: علاقة الآيات بما قبلها. ثانياً: شرح المفردات. ثالثاً: وجوه القراءات.

رابعاً: المباحث العربية. خامساً: معاني الآيات الكريمة. سادساً: لطائف التفسير.

سابعاً: ما ترشد إليه الآيات الكريمة.

ثم ختمت البحث بخاتمة موجزة، فيها خلاصة فكرته، وإجمال مفصله، وقفيت ذلك بثبت للمصادر والمراجع، فهذه قطرات من بحر قرآننا الزاخر، ونفحات من هديه الطاهر أسأل الله تعالى أن ينفع بها،

فما كان من صواب فالفضل والمنة لله تعالى، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله أسأل أن يجري الحق على قلبي وقلمي، وأن ينفعني بما أكتب، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يجزي عنى والدي بالجزاء الأوفى، وأساتذتي الذين أفاضوا على من بحار علومهم، وكل من ساق الله لنا خيرا على يديه،

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الراجية عفو ربها

شيرين السيد مصطفى الشحات

التَّمهيد
بين يدي السورة الكريمة

وفيه ستة مطالب:

يجدر بنا قبل البدء بعون الله في تفسير آيات النعم من خلال هذه السورة الكريمة أن نذكر عدة مطالب تتعلق بهذه السورة الكريمة من مختلف الجوانب لتوضيح المعالم بين يدي السورة على الوجه الآتي: **فنقول وبالله التوفيق ومنه العون والسداد:**

المطلب الأول
أسماء السورة الكريمة ووجه التسمية

ورد في تسمية السورة عدة أسماء:

أولاً: سورة النحل: سميت هذه السورة عند السلف سورة النحل، وهو اسمها المشهور في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة، **ووجه تسميتها بذلك:** أن لفظ النحل لم يذكر في سورة أخرى(١).

قال تعالى: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾(٢) وقال بعضهم: تسمية السورة بذلك تسمية بالأمر المهمّ ليتفطن الغرض الذي يرمى إليه(٣).

---

(١) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م (١٣/٧٤).

(٢) سورة النحل: الآية (٦٨).

(٣) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ (٦/٣٤٩).

أي أنها سميت سورة النحل لأمرين:

الأول: لفت أنظار العباد إلى قدرة الله، وحكمته وبديع صنعه في إلهام النحل ما ألهمه ليخرج من بطنه شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، وبذلك يعرفون نعم الله عندهم ويقدمون له الشكر الواجب عليها، والاستدلال بهذا الصنع على وجود الله (ﷻ).

الثاني: ليتفطن الغرض الذي يرمى إليه، وليتدبر فيه أولو الألباب، ولا يمر عليهم مرور الكرام.(١)

ثانياً: سورة النعم: قال قتادة تسمى سورة النعم أخرجه ابن أبي حاتم(٢).

ووجه تسميتها بذلك: بسبب ما عدد الله فيها من نعمه على عباده، كبيان نعم الله التي تدل على وحدانيته وقدرته، وآياته الكونية، وخلق الإنسان وإمداده بالنعم المادية والمعنوية قال تعالى: ﴿**وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾(٣)، وقال (ﷻ): ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾(٤).

---

(١) ينظر "بتصرف": التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ (٧٩/١٤).

(٢) الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م (١/١٥٣).

(٣) سورة النحل: جزء من الآية (٥٣).

(٤) سورة النحل: الآية (١٨).

رَحِيمٌ ﴾[1].

ثالثا: سميت بسورة الامتنان

ووجه تسميتها بذلك: لأن الله تعالى امتن فيها كثيراً على عباده بما هيأ لهم من أصول النعم وفروعها.[2]

رابعا: سميت بسورة "أتى":

ووجه تسميتها بذلك: على حسب مطلعها من تسمية كل سورة بأول كلمة بدئت بها[3].

وهذا لا ضير فيه فقد حازت الكثير من السور القرآنية على أكثر من اسم يبين كل اسم منها بعضاً مما اشتملت عليه من موضوعات وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ (٣٧٧/٣)، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠م (٧٤/١٣).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز – جدة، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م (١٣٢/١).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١٩٩/١).

المطلب الثاني

عدد آياتها:

مائة وثمان وعشرون آية. **وكلماتها:** ألفان وثمانمائة وأربعون. **وحروفها:** سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف(١).

المطلب الثالث

هل هي مكية أو مدنية؟

اختلف المفسرون في كون سورة النحل مكية أو مدنية، قال الإمام الخازن في تفسيره: السورة مكية إلا قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ..**﴾(٢) إلى آخر السورة فإنها نزلت بالمدينة في قتل حمزة (ﷺ) قاله ابن عباس، وفي رواية أخرى عنه أنها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿**وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا**" إلى قوله "**تَعْلَمُونَ**﴾(٣)، وقال قتادة: هي مكية إلا خمس آيات وهي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا**﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا**﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ عاقَبْتُمْ**﴾(٦) إلى آخر السورة، زاد مقاتل وقوله:

---

(١) البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، دار النش: مركز المخطوطات والتراث الكويت١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، الطبعة: الأولى (٧٥/١)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (المتوفى: ٨١٧هـ) (١/٢٧٨).

(٢) سورة النحل: جزء من الآية (١٢٦).

(٣) المصدر السابق: الآيات (٩٥-٩٧).

(٤)ا لمصدر السابق: جزء من الآية (٤١).

(٥) المصدر السابق: جزء من الآية (١١٠)

(٦) المصدر السابق: جزء من الآية (١٢٦).

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ... ﴾[1] الآية، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً... ﴾[2] الآية[3].

وأرى أن السورة مكية لعدة أمور:

١- تناولها لموضوعات تتناولها في العادة السور المكية:

(أ) لفت الأنظار إلى نعم الله في الكون ومن ثم وجوب عبادته (ﷻ) وحده، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَاهُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [4].

(ب) الحديث عن بعض عادات المشركين السيئة في مكة مثل وئد البنات وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[5].

(ج) الرد على منكري البعث وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[6].

---

(١) سورة النحل: جزء من الآية (١٠٦).

(٢) المصدر السابق: جزء من الآية (١١٢).

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ (٣/٦٦).

(٤) سورة النحل: الآيتان (٣-٤).

(٥) المصدر السابق: الآية (٥٨).

(٦) المصدر السابق: الآية (٣٨).

٢- يغلب على السورة الأسلوب المكي الذي يمتاز بالإيجاز وقصر الآيات وإن قال بعض العلماء أن فيها بعض الآيات المدنية كما سبق القول فالحكم في العادة للغالب الكثير.

٣- سبب النزول يقوى أنها مكية كما سيأتي بيانه.

المطلب الرابع
سبب نزول السورة

"**نزل القرآن على قسمين:** قسم نزل ابتداء وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال، فبيان سبب النزول طريق قوى فهم معاني القرآن، كما أنه يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"(١).

وفي سبب نزول مطلع سورة النحل قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾(٢).

﴿**قَالَ الْكُفَّارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ**﴾: إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَرُبَتْ فَأَمْسِكُوا عَنْ بَعْضِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ حَتَّى نَنْظُرَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ لَا يَنْزِلُ شَيْءٌ، قَالُوا: مَا نَرَى شَيْئًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾(٣) فَأَشْفَقُوا وَانْتَظَرُوا قُرْبَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا امْتَدَّتِ الْأَيَّامُ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ مَا نَرَى شَيْئًا مِمَّا تُخَوِّفُنَا بِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ**﴾ فَوَثَبَ النَّبِيُّ (ﷺ) ورفع الناس رؤوسهم فَنَزَلَ: ﴿**فَلَا تَسْتَعْجِلُوه**﴾فَاطْمَأَنُّوا، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ"، وَأَشَارَ بِأُصْبُعِهِ "إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي"(٤).

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١٠٧/١)، الموسوعة القرآنية، لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري المتوفي سنة ١٤١٤هـ، الناشر: مؤسسة سجل العرب ط ١٤٠٥هـ (٤٣٢/١).

(٢) سورة القمر: الآية (١).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (١).

(٤) أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ). =

وهذا معناه أن أول السورة نزل لهذا السبب الذي ذكره ابن عباس وليس كل السورة فقد يطلق الشيء ويراد أوله.

= تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٢٩م (٢٧٨)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م (٥/٦).

المطلب الخامس
نزول السورة

نزلت بعد سورة الكهف وقبل سورة نوح ونزل قبلها في مكة تسع وستون سورة وهي السورة السبعون في ترتيب النزول، ونزل بعدها في مكة خمس عشرة سورة وبهذا نستطيع أن نقول أنها نزلت في أواخر العهد المكي أو على الأقل في النصف الثاني من العهد المكي.(١)

وتقع في الترتيب المصحفي – وهو أمر توقيفي على الأرجح ويجب المحافظة عليه ولا يجوز تغيره – بعد سورة الحجر وقبل سورة الإسراء فهي السورة السادسة عشر.

المطلب السادس
مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

(أ) مناسبتها لما قبلها (سورة الحجر): ترتبط بسورة الحجر ارتباطا وثيقاً وقد تحدث أهل التفسير عن وجوه هذا الارتباط، فقال الإمام الألوسي في تفسيره: ذكر الجلال السيوطي أن آخر الحجر شديدة الالتئام بأول هذه(٢) فإن قوله (ﷻ): ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾(٣) الذي هو مفسر بالموت ظاهر المناسبة بقوله (ﷻ) هنا: ﴿**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ**﴾ ونقل عن صاحب البحر في بيان وجه الارتباط أنه تعالى لما قال: ﴿**فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ**

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ (٤٢٢/١).

(٢) يقصد سورة النحل.

(٣) سورة الحجر: الآية (٩٩).

﴿أَجْمَعِينَ﴾[1] إن ذلك تنبيه على حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما فعلوه في الدنيا قيل: "**أتى أمر الله**" فإن المراد به على قول الجمهور يوم القيامة[2].

أقول: لما كان ختام سورة الحجر تسلية للنبي (ﷺ) وتسرية له عما يلاقيه من استهزاء المشركين وتعنتهم معه أراد الحق (ﷻ) أن يزيده اطمئنانا وتثبيتا فبدأ سورة النحل بهذا الإعلان الحاسم الجازم المزلزل القوي فقال تعالى: ﴿**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ**﴾.

نستطيع أن نقول أن سورة النحل ككل ترتبط بسورة الحجر ككل وبيان ذلك كالآتي:

أولاً: جاء في سورة الحجر حكاية عن ما قاله كفار مكة قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[3] فرد عليهم القرآن قائلاً ﴿**مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾[4] وفي سورة النحل بين الحق (ﷻ) بعض أسباب نزول الملائكة فقال تعالى: ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ**﴾[5].

---

(١) سورة النحل: جزء من الآية (٩٢).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ (٣٣٤/٧)، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ (٥٠٢/٦).

(٣) سورة الحجر: الآيتين (٦-٧).

(٤) المصدر السابق: جزء من الآية (٨).

(٥) سورة النحل: جزء من الآية (٢).

ثانياً: في سورة الحجر حديث عن إرسال الرياح لواقح لينزل من السماء ماء لمنفعة العباد فقال (ﷻ): ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾[(١)].

وفي سورة النحل حديث عن هذه النعمة مع شيء من التفصيل عن ما ينبته الماء يتفق وطبيعة السورة قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[(٢)] ومن ثم فقد جاء الحديث عن بعض نعم الله ودلائل قدرته في الكون مختصرا موجزا في سورة الحجر بينما جاء على وجه التفصيل والبيان في سورة النحل تبعاً للاختلاف في شخصيتي السورتين ومقاصد كل منهما.

ثالثاً: في سورة الحجر حديث عن قصة آدم (عليه السلام) ورفض إبليس السجود له استكباراً، وفي سورة النحل إخبار أن كل ما في السموات وما في الأرض يسجد لله فقال (ﷻ): ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[(٣)(٤)].

رابعاً: في سورة الحجر جاء قوله تعالى: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[(٥)] وجاء في سورة النحل شيئاً من مظاهر هذه الرحمة وطرفاً من عذاب الله يوم القيامة لمن كفر وجحد بآيات ربه.

---

(١) سورة الحجر: الآية (٢٢).

(٢) سورة النحل: الآيتين (١٠-١١).

(٣) المصدر السابق: الآية (٤٩).

(٤) ينظر "بتصرف": نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م (٢٤٤/٤).

(٥) سورة الحجر: الآية (٤٩)

فمن الأول: هذا الحديث الجليل الطيب في سورة النحل عن خلق الأنعام بما فيها من متع وفوائد وزينة للعباد.وهذا الماء النازل من السماء والذي سماه القرآن رحمة في قوله (ﷻ): ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**﴾[1]وهذا الحديث عن الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبحر والفلك والرواسي التي تحفظ الأرض أن تميد أو تضرب بمن عليها من الأحياء...الخ

ومن الثاني: تقرأ قوله (ﷻ): ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾[2].

ويجب أن لا يغيب عن ذهننا ما قلناه سابقاً من أن طبيعة سورة النحل يغلب عليها الحديث عن نعم الله على عباده ورحمته ومن ثم جاء الحديث عن هذا في معظم آيات السورة الكريمة.

خامساً: في سورة الحجر جاء قوله (ﷻ): ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾[3] وفي سورة النحل نقرأ قوله (ﷻ): ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[4] بعد أن قال (ﷻ): ﴿**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[5] **فسبحان من هذا كلامه !!وذلك ترتيبه!!**[6].

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٨٤)

(٢) سورة النحل: الآيتين (٢٨-٢٩)

(٣) سورة الحجر: الآية (٨٥)

(٤) سورة النحل: الآية (٣)

(٥) المصدر السابق: الآية (١).

(٦) ينظر" بتصرف": التفسير المنير (١٤/٨٠).

إلى غير ذلك من روابط وعلاقات بين السورتين الكريمتين تظهر بإعمال الفكر والنظر، بتوفيق الله (ﷻ) وعونه.

(ب) مناسبتها لما بعدها (سورة الإسراء):

سورة النحل وسورة الإسراء متفقتان في تقرير العقيدة وترسيخ مكارم الأخلاق:

– اختتمت سورة النحل بالحديث عن معية الله للمتقين، وافتتحت سورة الإسراء بتكريم الله تعالى لنبيه بأن أسري به.(١)

– ورد في ختام سورة النحل الحديث عن نبي الله إبراهيم (عليه السلام) وفي افتتاح سورة الإسراء الحديث عن نبي الله نوح (عليه السلام).

– ذكر الله تعالى في آخر سورة النحل اختلاف اليهود في السبت قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾(٢) وذكر في سورة الإسراء شريعة أهل السبت التي شرعها الله لهم في التوراة في خمس عشرة آية(٣).

– جاء في سورة النحل الأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾(٤) وجاءت سورة الإسراء توصي به

(١) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة (٢٦٨/٧).

(٢) سورة النحل: الآية (١٢٤).

(٣) التفسير المنير للزحيلي (٧٩/١٤).

(٤) سورة النحل: الآية (٩٠).

وتؤكد عليه قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾[١].

– ذكر في سورة النحل نعم كثيرة حتى سميت سورة النعم، وفي سورة الإسراء ذكرت أيضا نعم خاصة وأخرى عامة.[٢]

– اختتمت سورة النحل بإظهار حزن النبي (ﷺ) على عدم إيمان المشركين وإصرارهم على كفرهم قال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾[٣] واستهلت سورة الإسراء بتسليته (ﷺ) وتأييد الله تعالى له فقال تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾[٤].

– ذكر في النحل ما يشفي الأمراض العضوية قال تعالى: ﴿**يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**﴾[٥]، وذكر في الإسراء ما يشفي الأمراض القلبية والنفسية ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾ [٦].

(١) سورة الإسراء: الآية (٣٤).
(٢) التفسير المنير للزحيلي (٧٩/١٤).
(٣) سورة النحل: الآية (١٢٧).
(٤) سورة الإسراء: جزء من الآية (١).
(٥) سورة النحل: جزء من الآية (٦٩).
(٦) سورة الإسراء: الآية (٨٢).

المقصد

ويتضمن التفسير التحليلي لبعض آيات النعم من سورة النحل

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول
نعمة الخلق

قبل الشروع في بيان النعم في الآيات الكريمة لابد من بيان **معنى النعم لغة واصطلاحاً** للوصول إلى المعنى بين يدي القارئ.

النعم لغة: النِعم والنُعمى والنَعماء والنعِمَة بكسر العين وفتح الميم مفرد وجمعها نِعمات وأنعُم ونِعم(١).

وقد تكرر لفظ النعم في القرآن الكريم بتصاريفها المختلفة في مائة وأربعة وأربعين موضعا(٢)؟

تطلق في اللغة على عدة معان:

– **المن والعطاء:** نعمة الله: منه وعطاؤه وما أعطاه الله للعبد مما لا يمكن لغيره أن يعطيه إياه كالسمع والبصر والجمع منها نِعم وأنعُم قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾(٣) أي مننه ونعمة العيش: حسنه ونضارته.(٤)

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ــ سنة الوفاة ٤٥٨هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية (٢/١٩٥).

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار الكتب المصرية ١٩٩٨م (٧٠٧).

(٣) سورة المائدة: جزء من الآية (١١).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم (٢/١٩٥)، تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م (٩/٣).

- **حسن الحال والمال:** وهو ما وهبه الله من رزق، يقال فلان واسع النعمة: أي واسع المال موسر، ومضادها: نقمة.

النعم: واحد الأنعام وهي: المال الراعية: وبهذا يكون المعنى بالفتح الإبل خاصة، والأنعام هي الإبل والبقر والغنم وفلان واسع النعمة أي: واسع المال.

- **سعة العيش:** قال تعالى: ﴿**فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ**﴾[1] يعني وسع عليه معيشته.

- **النعومة واللين:** يقال نعم الشيء نعومة أي صار ناعما لينا ومنه شجرة ناعمة الورق، وثوب ناعم أي لين، ورجل منعام: أي مفضال.[2]

- **تأتي بمعنى اليد والصنيعة،** والمنة قال تعالى: ﴿**وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى**﴾[3].

فالنعمة: المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير.[4]

- **المسرة والفرح:** النعمة بالفتح المسرة والفرح والترفة، والحالة التي يستلذها الإنسان.[5]

---

(١) سورة الفجر: جزء من الآية (١٥).

(٢) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ (٥٧٩/١٢).

(٣) سورة الليل: الآية (١٩).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية (٤٩٩/٣٣)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمدعبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م (٢٠٤٣/٥).

(٥) لسان العرب (٥٧٩/١٢).

– **التفكر:** يقال: أنعم النظر في الشيء: إذا أطال الفكر فيه.(١)

– **الثواب والعطاء:** قال تعالى: ﴿**يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾(٢).

أي: ثواب من الله.(٣)

ومما تقدم من هذا العرض اللغوي للفظة النعم، نرى أنها تطلق على معان عديدة ويحدد المعنى المطلوب بقرينة السياق والمقام الذي وردت فيه.

النعم اصطلاحاً: عرفت بعدة تعريفات منها:

– ما قصد به الإحسان والنفع لا لغرض ولا لعوض، وهي كل ملائم تحمد عاقبته شرعا.(٤)

– اطمئنان النفس بما تملك من السعادة والرضى فهي متاع صاحبها.(٥)

– المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير.(٦)

---

(١) لسان العرب (٥٧٩/١٢).

(٢) سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية (١٧١).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس (٥٠٠/٣٣).

(٤) التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري (٣١١/١).

(٥) مفردات القرآن (٨١٥/١).

(٦) مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ (٢٢٠/١).

ومن التعريف الاصطلاحي نعلم أن النعمة في اصطلاح العلماء هي كل معروف أو خير أو إحسان يصل إل الغير ويقصد منه النفع المباشر أو إزالة ضرر واقع أو متوقع.

وجه الله تعالى عباده إلى النظر في نعمه (ﷻ) عليه ومنها خلق السموات والأرض، والنظر في النعم المخبوءة في نفس الإنسان، وتسخير ما في الكون له قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(١).

أولا: علاقة الآيات بما قبلها:

قال الإمام الزمخشري: ثم دلّ على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر، مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه، وما لا بدّ له منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وجرّ أثقاله وسائر حاجاته، وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلائقه، ومثله متعال عن أن يشرك به غيره(٢).

---

(١) سورة النحل: الآيات من (٣-٩).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ (٥٩٣/٢).

ثانيا: شرح المفردات:

خَلَقَ: الخلق: أصله التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء قال تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**﴾ أي: أبدعهما بدلالة قوله تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[(١)] وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى، وأما الذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الأحوال كعيسى (عليه السلام) حيث قال ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي**﴾[(٢)] والخلق لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين:

أحدهما: في معنى التقدير، **والثاني:** في الكذب نحو قوله: ﴿**وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا**﴾[(٣)(٤)].

﴿**السَّمَاوَاتِ**﴾: السين والميم والواو أصل يدل على العلو، يقال: سموت إذا علوت، وسما بصره: علا والجمع سماو، والعرب تسمى السحاب سماء: قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾[(٥)]، والمطر سماء قال تعالى: ﴿**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا**﴾[(٦)]، والسماء: سقف البيت، والسماء: كل ما علاك فأظلك، والجهة: سماء قال تعالى: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**﴾[(٧)]، والفضاء: سماء

(١) سورة البقرة: الآية (١١٧).
(٢) سورة المائدة: جزء من الآية (١١٠).
(٣) سورة العنكبوت: جزء من الآية (١٧).
(٤) لسان العرب (٨٥/١٠).
(٥) سورة النحل: الآية (١٠).
(٦) سورة نوح: الآية (١١).
(٧) سورة البقرة: جزء من الآية (١٤٤).

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾[(١)]، والهواء: سماء: قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ**﴾[(٢)(٣)]، **ويتضح من المعاني اللغوية أن السماء كل ما علاك.**

وعرفت بأنها: الجسم المحيط بكل الكائنات والحاوي لجميع الأجرام السماوية كلها.

وقيل: كل سماء بالإضافة إلى ما دونها فسماء، وبالإضافة إلى ما فوقها فأرض، إلا السماء العليافهي سماء بلا أرض قال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا**﴾[(٤)(٥)].

وقد ورد لفظ السماء في سورة النحل مفردا وجمعا في ثمانية مواضع[(٦)].

الْأَرْضَ: الهمزة والراء والضاد ثلاثة أصول، فالأرض الزكمة، وهي الجرم المقابل للسماء، والأرض مؤنثة وهي اسم جنس والجمع أرضات لأنهم قد يجمعون المؤنث الذي ليس فيه هاء التأنيث وقالوا أرضون وأراضي، والأراضي البساط لأنه يلي الأرض، والأراضي جمع غير قياسي[(٧)].

---

(١) سورة الروم: جزء من الآية (٤٨).

(٢) سورة النحل: جزء من الآية (٧٩).

(٣) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٧٩٩م (٩٨/٣)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢٣٨٢/٦).

(٤) سورة الملك: جزء من الآية (٣).

(٥) المفردات (٤٢٧/١).

(٦) الآيات التي وردت فيها لفظ السماء إفرادا: في ثلاثة مواضع(١٠-٦٥-٧٩)، وذكرت مجموعة في خمسة مواضع الآيات: (٤٩-٥٢-٧٣-٧٧) وسيأتي بيانه.

(٧) لسان العرب (٢٩٦/١٢)، معجم مقاييس اللغة (٧٩/١)، الصحاح (١٠٦٣/٣).

وذكر لفظ الأرض في سورة النحل عشر مرات.[١]

الْإِنْسَانَ: مأخوذ من أنس، الهمزة والنون والسين أصل واحد، وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقة التوحش، وقيل: الإنس خلاف الجن، وسموا بذلك لظهورهم، يقال: أنِستَ الشيء: إذا رأيته، والجمع أناس. [٢]وقد ذكر لفظ الإنسان (الناس) في مواضع عدة في سورة النحل[٣].

﴿**مِنْ نُطْفَةٍ**﴾: **النطفة:** القطرة من الماء نطف رأسه ماء أي قطر، والنطفة ماء الرجل، والجمع نطف، وسمي المني نطفة لقلته[٤].

﴿**خَصِيمٌ**﴾: الخصم مصدر خصمته أي نازعته خصما، يقال: خاصمته وخصمته مخاصمة وخصاما واستعمل الخصم للواحد والجمع وربما ثني، وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر، أي جانبه، وأن يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانب و الخصيم الكثير المخاصمة.[٥]

مُبِينٌ: يقال بان واستبان وقد بينه: والبينة الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة والبيان الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق مختص بالإنسان، ويسمى ما بُين به بيانا.[٦]

فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ: ظاهر الخصومة واضحها، وقيل: يبين عن نفسه ما يخاصم به من الباطل والمبين: هو المصفح عما في ضميره بمنطقة.[٧]

---

(١) وهي: الآيات (٣-١٣-١٥-٣٦- ٤٥ -٤٩ -٥٢- ٦٥ -٧٣ -٧٧) وسيأتي بيانه.

(٢) لسان العرب (١٠/٦)، معجم مقاييس اللغة (١٤٥/١).

(٣) الآيات: (٤ -٣٨-٤٤-٦١-٦٩-).

(٤) البحر المحيط (٤٧١/٤)، لسان العرب (٣٣٤/٩).

(٥) المفردات (١٤٩/١)، لسان العرب (٥٨٥/١٢)، الصحاح (٢٠٤٣/٥).

(٦) المفردات(٦٩/١).

(٧) فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم، الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ (١٤٧/٣).

وَالْأَنْعَامَ: النعم مختص بالإبل وجمعه أنعام، وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة، لكن الأنعام تقال للإبل والبقر و الغنم، ولا يقال لها أنعام حتى يكون في جملتها الإبل.(١)

وقد ذكر لفظ الأنعام ثلاث مرات في سورة النحل(٢).

دِفْءٌ: الدفء اسم لما يدفأ به أي يسخن، وتقول العرب: دفيء يومنا فهو دفيء إذا حصلت فيه سخونة تزيل البرد، والدفئة الإبل الكثيرة الأدبار لإدفاء بعضها بعضا بأنفاسها.

وقال الجوهري: الدفيء نتاج الإبل وألبانها، وما ينتفع به منها.(٣)

والجمال: ما يتجمل به ويتزين عند الناظرين إليها.(٤): ﴿**جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**﴾: أي في هذين الوقتين، وهما وقت ردها من مراعيها، ووقت تسريحها إليها **فالرواح:** رجوعها بالعشي من المراعي.

والسراح: مسيرها إلى مراعيها بالغداة، يقال سرحت الإبل سرحاً وسروحاً: إذا غدت بها إلى المراعي.(٥)

﴿**أَثْقَالَكُمْ**﴾: الأثقال جمع ثقل، وهو متاع المسافرين من طعام وغيره، وسمي ثقلا لأنه يثقل الإنسان حمله وقيل المراد: أبدانهم.(٦)

﴿**بِشِقِّ: الشق**﴾: بفتح الشين: الخرم الواقع في الشيء يقال شققته نصفين، الشق بكسر الشين: المشقة والانكسار الذي يلحق النفس والبدن وذلك كا استعارة الانكسار لها.(٧)

---

(١) المفردات (٤٩٩).

(٢) الآيات (٥-٦-٦٦) وسيأتي بيانه.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥٠/١)، البحر المحيط (٤٧١/٤).

(٤) فتح القدير (١٧٨/٣).

(٥) المرجع السابق (١٧٨/٣).

(٦) المرجع السابق (١٧٨/٣).

(٧) المفردات (٢٦٤/١).

﴿**الْخَيْلَ**﴾: اسم جنس للفرس لا واحد لهمن لفظه كالإبل وذكر الراغب أنه في الأصل يطلق على الفرس والفرسان وسميت خيلا لاختيالها في مشيتها.(١)

﴿**الْبِغَالَ**﴾: جمع بغل، اسم للحيوان المتولّد بين الخيل والحمير، وزنه فعل بفتح فسكون(٢).

﴿**الْحَمِيرَ**﴾ : جمع الحمار اسم للحيوان المعروف، وزنه فعال بكسر الفاء، ويجمع أيضا على أحمرة بفتح الهمزة وكسر الميم، وحمر بضمّتين، وحمور بضمّ الحاء، وحمرات بضمّتين، ومؤنّثه بتاء.(٣)

﴿**قَصْدُ**﴾: القصد استقامة الطريق، وعلى الله قصد السبيل، قال الشوكاني: القصد مصدر بمعنى الفاعل، فالمعنى وعلى الله قاصد السبيل، أي هداية قاصد الطريق المستقيم بموجب وعده المحتوم وتفضله الواسع وقيل: هو على حذف مضاف والتقدير وعلى الله بيان قصد السبيل.(٤)

﴿**السَّبِيلِ**﴾: الطريق الذي فيه سهولة وجمعه سبل، ويستعمل السبيل لكل ما يتوصل به إلى شيء خير أكان أو شرا(٥).

﴿**جَائِرٌ**﴾: الجار من يقرب مسكنه منك ... وقد تصورت من الجار معنى القرب، فباعتبار القرب قبل جار عن الطريق، ثم جعل ذلك أصلا في العدول عن كل حق فبني منه الجور.

---

(١) تفسير الألوسي (١٠١/١٤).

(٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ (٢٨٦/١٤).

(٣) المرجع السابق (٢٨٦/١٤).

(٤) فتح القدير (١٤٩/٣).

(٥) المفردات (٢٢٣).

قال تعالى: ﴿**وَمِنْهَا جَائِرٌ**﴾: أي: عادل عن المحجة، وقال بعضهم: الجائر من الناس هو الذي يمنع من التزام ما يأمر به الشرع.(١)

﴿**لَهَدَاكُمْ**﴾: أصل الهداية في اللغة الدلالة، ويقول الراغب: أن الهداية دلالة بلطف، ويرى بعض العلماء أن الهداية في اللغة الإرشاد.(٢)

والهدى يستعمل في القرآن استعمالين:

أحدهما: عام، **والثاني:** خاص، أما الأول: فمعناه إبانة طريق الحق وإيضاح المحجة سواء سلكها المبين له أم لا من هذا قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ**﴾(٣) أي بينا لهم الطريق على لسان نبينا صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، **وأما الثاني:** فهو تفضل الله على عبده بتوفيقه للإنسان بعد أن يعلم منه صدق النية وإخلاص اقلب ومنه ما هو معنا في هذه الآية أو لو شاء لهداكم جبرا وقسرا لكنه (ﷻ) لم يشأ ذلك، بل أراد أن يسلكوها اختيارا لكي يكون للتكليف معنى وبالتالي يكون الثواب والعقاب(٤).

وأرى أن الألفاظ متقاربة فكلها تدور حول الهداية والدلالة.

ثالثًا: وجوه القراءات:

بِشِقِّ الْأَنْفُسِ: قرأ الجمهور بكسر الشين، وقرأ أبو جعفر بفتحها، وهما بمعنى واحد ويجوز أن يكون المفتوح مصدرا من شققت عليه أشق شقا،

---

(١) المفردات (١٠٣).

(٢) تهذيب اللغة (٢١٩/١١)، المعجم الوسيط (٨٧٩/٢)، المفردات (٨٣٥/١).

(٣) سورة فصلت: جزء من الآية (١٧).

(٤) ينظر "بتصرف": تفسير البيضاوي لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، الناشر: دار الفكر– بيروت (١١١/٥)، تفسير الرازي (١٧٩/١٩).

والمكسور بمعنى النصف، يقال: أخذت شق الشاة وشقة الشاة، ويكون المعنى على هذا في الآية: لم تكونوا بالغيه إلا بذهاب نصف الأنفس من التعب.(١)

رابعاً: المباحث العربية:

﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**﴾: أي أوجد ذلك ملتبسا بما يحق له بمقتضى الحكمة فيدل على صانع حي عالم قادر مريد منفرد بالإلوهية والربوبية، فالباء متعلق بمحذوف حال من السموات، أوحال من فاعل خلق أي محقا.

﴿**تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾: "**ما**" يمكن أن تكون مصدرية أي تعالى وتقدس بذاته وأفعاله عن إشراكهم ويمكن أن تكون موصولة على معنى تعالى عن شركة ما يشركونه من الباطل الذي لا يبديء ولا يعيد.

﴿**مِنْ نُطْفَةٍ**﴾: متعلق بخلق، ومن لابتداء الغاية.(٢)

﴿**فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾: إِنْ قِيلَ: الْفَاءُ تَدُلُّ عَلَى التَّعْقِيبِ، وَكَوْنُهُ خَصِيمًا لَا يَكُونُ عُقَيْبَ خَلْقِهِ مِنْ نُطْفَةٍ ؛ فَجَوَابُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

احَدُهُمَا: أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى مَا يَئُولُ حَالُهُ إِلَيْهِ، فَأَجْرَى الْمُنْتَظَرَ مَجْرَى الْوَاقِعِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ التَّعْبِيرِ بِآخِرِ الْأَمْرِ عَنْ أَوَّلِهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى سُرْعَةِ نِسْيَانِهِمْ مَبْدَأَ خَلْقِهِمْ.(٣)

---

(١) الكنز في القراءات العشر، لأبى محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: ٧٤١هـ) تحقيق: د. خالد المشهداني، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (٥٣١/٢)، القراءات وأثرها في علوم العربية، لمحمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م (٢٤٦/١).

(٢) روح المعاني (٩٦/١٤).

(٣) التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه ٢/٧٨٩.

﴿**خَصِيمٌ**﴾: صيغة مبالغة بمعنى مخاصم ومعناه: إما أنه: منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من منى أو أنه خصيم لربه منكر على خالقه قائل ﴿**من يحي العظام وهي رميم**﴾[1] وصفا للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة.[2]

وأقول: ولا مانع في الآية من إرادة الأمرين فاللفظ مطلق غير مقيد.

﴿**وَالْأَنْعَامَ**﴾: منصوبة بمضمر يفسره الظاهر، أي خلق الأنعام، أو معطوف على الإنسان.[3]

﴿**خَلَقَهَا لَكُمْ**﴾: لكم: إما متعلق بخلقها، وقوله فيها خبر مقدم، ودفء: مبتدأ مؤخر، والجملة: حال من المفعول أو الجار والمجرور الأول خبر من المبتدأ المذكور والثاني تعلق بما فيه من معنى الاستقرار وقيل: حال من الضمير المستكن فيه العائد على المبتدأ وقيل﴾ حال من دفء إذ لو تأخر لكان صفة.[4]

ويجوز أن يكون لكم متعلق بخلقها وجملة فيها دفء استئناف لذكر منافع الأنعام.

﴿**وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾: من تبعيضية، والأكل إما على معناه المتبادر أو بمعنى التناول الشامل للشراب، فيدخل في العد الألبان ويمكن أن تكون من سببية، أي تأكلون ما يحصل بسببها لكن الأول أظهر وأولى.

﴿**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ**﴾: المشهور إطلاقه على الحسن الكثير ويكون في الصورة بحسن التركيب وتناسق الأعضاء وتناسبها وفي الأخلاق باشتمالها على الصفات

---

(١) سورة يس: الآية (٧٨).

(٢) الكشاف (٤٠١/٢).

(٣) التبيان في إعراب القرآن (٧٨٩/).

(٤) روح المعاني (٩٨/١٤)، الجدول في إعراب القرآن الكريم (٢٨٣/١٤).

المحمودة، وفي الأفعال بكونها ملائمة للمصلحة والمراد به في الآية: زينة في أعين الناس، وعظمة ووجاهة عندهم.

والجملة: لا محلّ لها معطوفة على جملة فيها دفء.

وجملة: ﴿"تُرِيحُونَ﴾ في محلّ جرّ مضاف إليه.

وجملة: ﴿ تَسْرَحُونَ﴾ في محلّ جرّ بإضافة حين الثاني إليها.(١)

﴿إِلَى بَلَدٍ﴾: الظاهر أنه عام لكل بلد سحيق.

﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾: واصلين إليه بأنفسكم مجردين عن الأثقال، وقيل: لم تكونوا بالغيه بها إلا بما ذكر وحذف بها لأن المسافر لا بد له من الأثقال، والأول أبلغ وبالسياق أولى .

﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾: الاستثناء مفرغ أي لم تكونوا بالغيه بشيء من الأشياء إلا بشق الأنفس، وضمير الجار والمجرور في موضع الحال من الضمير المرفوع في بالغيه أي مشقوقا عليكم وضمير تحمل للأنعام.(٢)

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾: عطف على الأنعام أي وخلق الخيل.

لتركبوها: تعليل لخلق الأنعام.

﴿وَزِينَةً﴾: عطف على محل لتركبوها فهو مثله مفعول لأجله أو مصدر لفعل محذوف أي ولتتزينوا بها زينة وقال ابن عطية: أنه مفعول به لفعل محذوف أي وجعلها زينة.(٣)

﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾: الضمير في منها راجع إلى السبيل بمعنى الطريق لأنها تذكر وتؤنث وقيل راجع إليها بتقدير مضاف أي ومن جنس السبيل جائر مائل عن

---

(١) روح المعاني (٩٨/١٤)، الجدول في إعراب القرآن الكريم (٢٨٤/١٤).

(٢) التبيان في إعراب القرآن (٢/٧٩٠).

(٣) الجدول في إعراب القرآن الكريم (٢٨٥/١٤).

الحق عادل عنه، وقيل أن الطريق كناية عن صاحبها والمعنى: ومنهم جائر عن سبيل الحق أي عادل عنه فلا يهتدى إليه، وهم أهل الأهواء المختلفة، وجائر مبتدأ مؤخر.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أجمعين قيد للمنفي لا للنفي، فالله (ﷻ) ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الإيمان لأن كلمة لو تفيد انتفاء شيئ غيره فقوله: ولو شاء لهداكم: معناه: لو شاء هدايتكم لهداكم.(١)

خامسا: معاني الآيات الكريمة:

بدأ (ﷻ) الحديث في هذه السورة المباركة عن آيات الكون المنظور الدالة على قدرته، وإنعامه على عباده بلفت أنظار الناس إلى هذه الحقيقة الضخمة الهائلة، وهو أنه (ﷻ) لم يخلق السموات والأرض عبثاً ولا سدى، وإنما خلق هذه المخلوقات الهائلة الكبيرة، للحقفالحق قوام خلقهما، وتدبير هما ذلك لأن الحق متلبس به مفض إليه سائر إليه في النهاية ،وقد وجه الله تعالى أنظار عباده للتفكر في خلق السموات والأرض لتقوية صلة المخلوق بالخالق لأن عظمة الخلق ودقته تدل على عظمة الخالق وحكمته، تعالى عما يشركون: تعالى الله عن شركهم، وتعالى الله عما يشركون به من خلق الله الذي خلق السموات والأرض وخلق من فيهما، وما فيهما، فليس أحد وليس شيئ شريكا له وهو الخالق الواحد بلا شريك.

ثم يتحدث عن خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين: إنها نقلة ضخمة هائلة لمن يتدبر أو يفكر، أو يعي، أو ينظر بقلب سليم وبصيرة مفتوحة.

إنها نقلة من نطفة ساذجة، إلى إنسان مخاصم مجادل يخاصم من ؟يخاصم من خلقه، ودبر أمره، ويكفر به ويجادل في وجوده، ويناقش في أمر وحدانيته.

(١) تفسير الرازي (١٧٨/١٩).

ألم ينظر الإنسان إلى نفسه كيف كان ؟ومن أي شيئ كان؟ومن نقله هذه النقلة الكبيرة الهائلة؟

وما أعظم ما قاله ابن كثير في معنى الآية: ثم نبه على خلق جنس الإنسان "**من نطفة**" أي: ضعيفة مهينة، فلما استقل ودرج إذا هو يخاصم ربه تعالى ويكذبه، ويحارب رسله، وهو إنما خلق ليكون عبدا لا ضدا(١).

ثم يأخذ القرآن الإنسان في جولة كونية رائعة يعرض فيها خلق من خلق الله القادر الذي سخره لهذا الإنسان فيبدأ بالأنعام فيمتن تعالى على عباده بما خلق لهم من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم، كما فصلها في سورة الأنعام إلى ثمانية أزواج، وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع، من أصوافها وأوبارها وأشعارها يلبسون ويفترشون، ومن ألبانها يشربون، ويأكلون من أولادها، وما لهم فيها من الجمال وهو الزينة؛ ولهذا قال: ﴿**ولكم فيها جمال حين تريحون**﴾ وهو وقت رجوعها عشيا من المرعى فإنها تكون أمده خواصر، وأعظمه ضروعا، وأعلاه أسنمة، ﴿**وحين تسرحون**﴾ أي: غدوة حين تبعثونها إلى المرعى، "وتحمل أثقالكم" وهي الأحمال المثقلة التي تعجزون عن نقلها وحملها، "إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس" وذلك في الحج والعمرة والغزو والتجارة، وما جرى مجرى ذلك، ثم بينت الآيات صنف آخر مما خلق (ﷻ) لعباده، يمتن به عليهم، وهو: الخيل والبغال والحمير، التي جعلها للركوب والزينة بها، وذلك أكبر المقاصد منها(٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (٥٥٦/٤).

(٢) المرجع السابق (٥٥٧/٤).

واشتملت الآيات الكريمة على عدة مسائل:

المسألة الأولى: خلق السموات والأرض

لفت الله تعالى أنظار عباده من خلال سورة النحل إلى خلق السموات والأرض وما تحتوي من عجائب صنع الله، مظهرة بذلك عظمة الخالق وقدرته على الخلق، ولتقوى صلة المخلوق بالخالق ويتعرف إليه بآياته لأن عظمة الخلق ودقته تدل على عظمة الخالق وحكمته، فهي عالم هائل رهيب لا يعرف كنهه ولا يدرك عمقه، واسع الأرجاء بعيد الأنحاء، بديع التكوين، محكم التنظيم، فراغه هائل وبناؤه كامل، وقد ورد لفظ السماء في سورة النحل مفردا في ثلاثة مواضع، وورد مجموعا في خمسة مواضع والقرآن حين يتحدث عن الخلق يرد معه لفظ السموات بالجمع.

ويمكن تصنيف هذه الآيات على النحو التالي:

أولا: الآيات الدالة على الوحدانية:

قال تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[1].

قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[2].

قال تعالى: ﴿**وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ**﴾[3].

قال تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾[4].

---

(١) سورة النحل: الآية (٣).

(٢) المصدر السابق: الآية (٤٩).

(٣) المصدر السابق: الآية (٥٢).

(٤) المصدر السابق: الآية (٧٣).

قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1] قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[2]؟

فالآيات تتحدث عن دلائل وحدانية الله وقدرته وما في دلالة المصنوع على الصانع والنعمة على المنعم فتدل على صانع حي عالم قادر مريد منفرد بالإلوهية والربوبية، لذا وجب أن تكون جميع المخلوقات منقادة إليه (ﷻ) وتحت ملكه وتصرفه ففي قوله: ﴿**خلق السماوات والأرض بالحق**﴾[3] أي: أوجدهما على هذه الصفة التي هما عليها بالحق للدلالة على قدرته ووحدانيته[4]

وفي قوله: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾[5].

لأنه لما كان الإله واحدا، والواجب لذاته واحدا، كان كل ما سواه حاصلا بتخليقه وتكوينه وإيجاده، فلما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح أن إله العالم لا شريك له في الإلهية، وجب أن يكون جميع المخلوقات عبيدا له وفي ملكه وتصرفه، قال ابن قتيبة: ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك لسبب في حال الحياة أو بالموت، إلا الحق (ﷻ) فإن طاعته واجبة أبدا، ولأنه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائما أبدا ﴿**أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ**﴾ يعني أنكم عرفتم أن الله واحد لا شريك له في ملكه، وعرفتم أن كل ما سواه محتاج

(١) سورة النحل: الآية (٧٧).
(٢) المصدر السابق: الآية (٧٩).
(٣) المصدر السابق: جزء من الآية (٣).
(٤) فتح القدير للشوكاني (١٧٧/٣)، تفسير القرطبي (٦٣/١٠).
(٥) سورة النحل: جزء من الآية (٥٢).

إليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره، وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الإنكار[١].

وفي قوله: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ الآية تتحدث عن خضوع واستسلام كل الكون لأمره (ﷻ) طائعين غير مستكبرين، أي ولله يخضع كلّ ما في السّموات والأرض من دابة تدبّ عليها،

وكذلك الملائكة، والحال أنهم لا يستكبرون أبدا عن عبادته وعن أي شيء كلفوا به، أو عن مراد الله فيما أراد، فهم في تذلل وخضوع لله تعالى.[٢]

وفي قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٣].

بالرغم من إنعام الله تعالى عليهم يعبدون غير الله (ﷻ) من الأصنام التي لا تقدر على إنزال المطر الذي في السموات خزائنه، ولا يقدرون على إخراج النبات الذي في الأرض معدنه شَيْئاً يعني لا يملك من الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا، فالله (ﷻ) هو المستحق للعبادة لنعمه وفضله فالذي لا يعبد الله لذاته (ﷻ) يعبده لنعمه وحاجته إليه.نلاحظ في هذه الآية نَوْعاً من الارتقاء في الاستدلال على بطلان عبادة الأصنام؛ ذلك لأن الحق (ﷻ) قال عنهم في آية أخرى: ﴿**لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾[٤] فنفى عنهم القدرة على الخَلْق، بل إنهم هم المخلوقون، فلما نفى عنهم القدرة على الخَلْق أراد هنا أنْ يترقّى في الاستدلال، فنفى عنهم مجرد أنْ يملكوا، فقد يملك الواحد ما لا يخلقه، فتُقرّر الآية هنا أنهم لا يملكون[٥].

---

(١) تفسير الرازي (٢٢٠/٢٠)، تفسير الخازن (٣/٨١).

(٢) تفسير الطبري (٢١٩/١٧)، التفسير المنير (١٤٦/١٤).

(٣) سورة النحل: جز من الآية (٧٣).

(٤) المصدر السابق: جزء من الآية (٢٠).

(٥) تفسير الخازن (٣/٨٩).

وفي قوله: ﴿**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ**﴾[1] تتحدث الآية عن اختصاصه (ﷻ) بعلم الغيب في السموات والأرض، فيعلم (ﷻ) كل ما غاب عن العباد فإن العبادة يستحقها من كانت هذه صفته.[2]

وفي قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ**﴾[3] ذكر الله تعالى دليلا على كمال قدرته وحكمته فجاءت الآية في موقع التعليل والتدليل على عظيم قدرة الله وبديع صنعه وعلى لطفه بالمخلوقات، وقد وقعت الآية في سياق جملة إنشائية استفهامية، وقد خرج الاستفهام هنا إلى الإنكار أي إنكار انتفاء رؤيتهم الطير مسخرات في جو السماء ينزل رؤيتهم إيها منزلة عدم الرؤية لإنعدام فائدة الرؤية، وقد شكل الاستفهام الإنكاري في الآية معنى دلاليا من خلال ما يحدثه من تساؤلات في ذهن السامع وحسه في النظر إلى هذه المخلوقات اللطيفة التي تدل على الإله الواحد.

فالله (ﷻ) يخاطب الغافلين فيقول ألم تنظروا أيها الكافرون إلى الطير المذلل المسخر بين السماء والأرض، كيف جعله يطير بجناحيه في جو السماء، ما يمسكه عن الوقوع إلا الله (ﷻ)، فإنه لولا أنه تعالى خلق الطير خلقة يمكنه معها الطيران، وخلق الهواء أو الجو خلقة يمكن معها الطيران فيه، لما أمكن ذلك، فإنه تعالى أعطى الطير جناحا يبسطه مرة ويضمه مرة، كما يفعل السباح في الماء، وأوجد له الذيل ليساعده في الهبوط، وخلق الهواء، وجعل ثقله حاملا الطير، ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا.

---

(١) سورة النحل: جزء من الآية (٧٧).

(٢) ينظر "بتصرف": فتح القدير للشوكاني (٢١٨/٣).

(٣) سورة النحل: جزء من الآية (٧٩).

وقوله: ﴿**ما يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ**﴾ معناه أن جسم الطائر ثقيل، والجسم الثقيل لا يمكنه التحليق في الجو من غير دعامة تحته، فكان الممسك له في الجو هو الله تعالى، بواسطة الهواء وفي ذلك دليل على وحدانيته (ﷻ) وخص المؤمنين بالذكر في قوله " إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يؤمنون " لأنهم هم المنتفعون بتلك الآيات، وإن كانت دلائل لكل العقلاء(١).

ثانيا: الآيات الدالة على نعمة إنزال المطر من السماء.

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾ (٢)، ﴿**وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾(٣).

بينت الآيتان الكريمتان نعمة إنزال المطر من السماء فبين الله تعالى في الآية الأولى أن من رحمة الله على عباده إنزال المطر من السماء عذبا زلالا يسوغ لكم شرابه، ولم يجعله ملحا أجاجا وتسقون أشجاركم ونباتكم التي تسيمون فيها أنعامكم وفيها ترعى.(٤)

يقول الإمام الرازي: واعلم أن الماء المنزل من السماء هو المطر والحاصل: أن ماء المطر قسمان:

أحدهما: هو الذي جعله الله تعالى شرابا لنا ولكل حي، وهو المراد بقوله: لكم منه شراب وقد بين الله تعالى في آية أخرى أن هذه النعمة جليلة فقال: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/١٨٨-١٨٩)، التفسير المنير للزحيلي (١٤/١٩٣).

(٢) سورة النحل: الآية (١٠).

(٣) سورة النحل: الآية (٦٥).

(٤) ينظر: الكون والإنسان في التصوير الإسلامي، د. حامد صادق قنيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ (٨٨).

والقسم الثاني: من المياه النازلة من السماء ما يجعله الله سببا لتكوين النبات وإليه الإشارة بقوله: ﴿**ومنه شجر فيه تسيمون**﴾[(١)].

وفي قوله: ﴿**وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾[(٢)].

بين (ﷻ) أنه تعالى خلق السماء على وجه ينزل منه الماء ويصير ذلك الماء سببا لحياة الأرض، وهذه من أنواع الرزق النازل من السماء التي لا يقدر أحد على إنزالها سوى الله تعالى، إن فى ذلك الإحياء بعد الموت لدليلاً واضحاً، وحجة قاطعة على وحدانيته تعالى وعلمه وقدرته لمن يسمع هذا القول سماع تدبر وفهم لما يسمع[(٣)].

خلق الأرض:

أسكن الله تعالى الإنسان الأرض بعد أن خلقه منها، وسخر له فيها سبل الراحة وهيأ له كل الظروف التي تضمن استمرار الحياة على الأرض وتعميرها بيسر وسهولة، وجعل الله تعالى علاقة لسماء بالأرض علاقة عطاء وتفضل، كما جعل الكون بكل أجزائه وكائناته مسرح ضخم لنشاط الإنسان[(٤)].

ويحيا على الأرض وفي مياهها وتحت هوائها من صور الحياة الحيوانية والنباتية ملايين الملايين من الأحياء ينتظمها حوالي ٤١ مليون نوع من أنواع الحياة النباتية، ونحو مليون نوع من أنواع الحياة الحيوانية، تنتظمها أجناس محددة وعائلات ورتب وطوائف وقبائل وممالك[(٥)].

---

(١) ينظر: تفسير الرازي (١٧٩/١٩).

(٢) سورة النحل: الآية (٦٥).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٢٣١/٢٠)، تفسير المراغي (١٠٢/١٤).

(٤) ينظر: المرجع السابق (٢٣١/٢٠)، تفسير المراغي (١٠٢/١٤).

(٥) ينظر: الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، للدكتور عبد العليم خضر، الناشر: الدار السعودية للشر جد، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ (١٨١).

يقول الإمام ابن القيم: وإذا نظرت إلى الأرض وكيف خلقت رأيتها من أعظم آيات فاطرها وبديعها خلقها (ﷻ) فراشا ومهادا وذللها لعباده وجعل فيه أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم وأرساها بالجبال فجعلها أوتادا تحفظها لئلا تميد بهم ووسع أكنافها ودحاها فمدها وبسطها وطحاها فوسعها من جوانبها وجعلها كفاتاً للأحياء تضمهم على ظهرها ما داموا أحياء، وكفاتاً للأموات تضمهم في بطنها إذا ماتوا فظهرها وطن للأحياء وبطنها وطن للأموات(١).

ولو تأملنا الآيات القرآنية في سورة النحل لوجدنا ورود لفظ الأرض في عشر مواضع وهي كالآتي:

قال تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾(٢).

قال تعالى: ﴿**وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**﴾(٣).

قال تعالى: ﴿**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾(٤).

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾(٥).

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/٢٠٠).

(٢) سورة النحل: الآية (٣).

(٣) المصدر السابق: الآية (١٣).

(٤) المصدر السابق: الآية (١٥).

(٥) سورة النحل: الآية (٣٦).

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾(١).

قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾(٢).

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾(٣).

قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾(٤).

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٥).

ويمكن تصنيف هذه الآيات على النحو التالي:

أولاً: الآيات الدالة على الوحدانية: وهي في سبع مواضع في السورة

قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٦) وقد سبق توضيحها.

وقال تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(٧).

---

(١) سورة النحل: الآية (٤٩).

(٢) المصدر السابق: الآية (٥٢).

(٣) المصدر السابق: الآية (٦٥).

(٤) المصدر السابق: الآية (٧٣).

(٥) المصدر السابق: الآية (٧٧).

(٦) المصدر السابق: الآية (٣).

(٧) المصدر السابق: الآية (٣٦).

كان النبي يخبرهم من أنباء الأمم الخالية؛ وما نزل بهم، فينكرون ذلك؛ فقال عند ذلك: فسيروا في الأرض معتبرين فانظروا إلى آثار من كان قبلكم ولرأيتم كيف كان عاقبة المكذبين. لتعرفوا أن العذاب نازل بكم كما نزل بهم إذا استمر يتم على كفركم(١).

وقال تعالى: ﴿**أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ**﴾(٢).

هدد الله الكافرين أن يخسف بهم الأرض كما خسف بقارون، أو يأتيهم بعذاب من السماء فيهلكهم بغتة كما فعل بقوم لوط، أو يأخذهم وهم يتقلبون فى أسفارهم ومعايشهم، أو يأخذهم طائفة بعد أخرى إذا استمروا على كفرهم(٣).

أما الآيات (٤٩-٥٢- ٧٣-٧٧) فقد ذكر الله تعالى فيها الاقتران بين السماء والأرض وقد سبق بيانها في موضعها.

ثانيا: الآيات الدالة لتسخير الله تعالى للنعم الموجودة في الأرض للإنسان:

وهي في ثلاثة مواضع في السورة:

قال تعالى: ﴿**وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**﴾(٤).

قال تعالى: ﴿**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾(٥).

---

(١) تفسير الرازي (٢٠٥/٢٠)، فتح القدير للشوكاني(١٩٤/٣).

(٢) سورة النحل: جزء من الآية (٤٥).

(٣) تفسير المراغي (٨٨/١٤).

(٤) سورة النحل: الآية (١٣).

(٥) المصدر السابق: الآية (١٥).

قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾[١].

بين الله تعالى في قوله: ﴿**وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ**﴾[٢] ما خلقه لعباده في الأرض من الدوابِّ والثمار والمعادن، وغير ذلك مما تختلف ألوانه ومنافعه. إن في ذلك الخَلْق واختلاف الألوان والمنافع لَعبرةً لقوم يتعظون، ويعلمون أنَّ في تسخير هذه الأشياء علاماتٍ على وحدانية الله تعالى وإفراده بالعبادة.[٣]

وفي قوله تعالى: ﴿**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[٤] بين نعمه على خلقه بإيجاد الجبال والمراد من إلقاء الرواسي في الأرض تثبيتها بالجبال، يقال رسى الشيء رسوا ثبت فهو راس، وجبال راسية: أي جبال ثوابت[٥] أي وألقى في الأرض جبالا ثوابت لتقرّ ولا تضطرب بما عليها كما قال تعالى:﴿**وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا**﴾ وما الأرض إلا كسفينة على وجه الماء، فإذا لم يكن فيها أجرام ثقيلة تضطرب وتميل من جانب إلى جانب بأدنى الأسباب، وإذا وضعت فيها أجرام ثقيلة استقرت على حال واحدة، فكذا الأرض لو لم يكن عليها هذه الجبال لاضطربت[٦].

ولم يعرف العلماء هذه الحقيقة إلا في العصر الحالي بعد إجراء بحوث عديدة، لقد اكتشفوا أن كل قارة في الكرة الأرضية بها سلسلة من الجبال تحفظ توازن الأرض كما هو الحال في الوتد الذي يساعد على ثبات الخيمة، والذي

---

(١) سورة النحل: الآية (٦٥).
(٢) المصدر السابق: جزء من الآية (١٣).
(٣) التفسير الميسر (٢٦٨/١).
(٤) سورة النحل: الآية (١٥).
(٥) المصباح المنير (٢٧٧/١).
(٦) تفسير المراغي (٦٢/١٤)

لابد ان يكون جزء منه خارج الأرض، والآخر منغرس تحت سطحه، فكذلك الجبال أثبت العلماء مؤخراً أن جذورها منغرسة تحت سطح الأرض بشكل نسبي وتختلف هذه النسبة حسب اختلاف ارتفاع الجبل فوق سطح الأرض قال تعالى: ﴿**والجبال أوتدا**﴾[1].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾[2] بيان لنعمة إحياء الأرض بالمطر وقد سبق بيانه.

المسألة الثانية: خلق الإنسان

خلق الله تعالى الإنسان وميزه على سائر خلقه بالعقل، وخلقه في أحسن صورة، وسخر له ما في السموات والأرض من مخلوقات قال تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾[3].

خلق الله آدم (عليه السلام) من تراب وخلق بالتدريج من درجة إلى درجة أعلى منها فمر بسبعة أطوار من التراب إلى الطين، إلى الحمأ المسنون، إلى الصلصال، إلى الفخار، ثم التصوير، ثم نفخ الروح فيه.

وخلق الله تعالى ذرية آدم من بعده بالتدريج في بطن الأم مروراً بسبعة أطوار من نطفة، الى علقة، ثم مضغة، ثم عظام، ثم كسوة العظام لحما، الخلق الآخر ينفخ فيه الروح[4] قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً**

---

(١) الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، لعبد العليم عبد الرحمن خضر، الناشر: السعودية عالم المعارف ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م (٤٨)، الإسلام في عصر العلم (٣٤٦).

(٢) سورة النحل: جزء من الآية (٦٥).

(٣) سورة التين: الآية (٤).

(٤) ينظر: نعم الله في خلق الإنسان كما يصورها القرآن، لعزت محمد حسن، الناشر: مكتبة المعارف الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٤هـ (٤١).

فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(١).

والمتأمل في سورة النحل يجد أن الله تعالى ذكر نعمة خلق الإنسان وإيجاده من نطفة في موضع واحد من السورة الكريمة قال تعالى: ﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾(٢) وبينت الآية أول مرحلة في خلق الإنسان من نطفة، وهي ماء الرجل والمرأة، فمن النطفة التي يتخلق منها الجنين تنشأ الحياة البشرية، وتتكاثر، يذكرهم (ﷻ) نعمه عليهم، وقدرته، وسلطانه، وعلمه؛ لأنه لو اجتمع الخلائق كلهم؛ على أن يدركوا المعنى الذي به تصير النطفة نسمة وإنسانا – ما قدروا عليه حيث خلق من النطفة إنساناً على أحسن تقويم؛ وأحسن صورة. فمن حجج الله على عباده أنه خلق الإنسان من نطفة، فأحدث من ماء مهين خلقا عجيبا، قلبه تارات خلقا بعد خلق في ظلمات ثلاث، ثم أخرجه إلى ضياء الدنيا بعد ما تم خلقه ونفخ فيه الروح، فغذاه ورزقه القوت ونماه، حتى إذ استوى على سوقه كفر بنعمة ربه وجحد مدبره وعبد من لا يضر ولا ينفع، وخاصم ألهه فقال ﴿**من يحي**﴾ ونسي الذي خلقه فسواه خلقا سويا من ماء مهين.(٣)

ولقد ذكرت هذه الحقيقة في القرآن الكريم، تلك الحقيقة التي لم يعرفها العلماء إلا في القرن التاسع عشر، ولم يتأكدوا منها إلا في القرن العشرين(٤).

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات من (١٢-١٤).

(٢) سورة النحل: الآية (٤).

(٣) ينظر"بتصرف": التحرير والتنوير (١٤/١٠٢)، التفسير المنير للزحيلي (١٤/٨٩)، تفسير الطبري (١٦٧/١٧).

(٤) ينظر: خلق الانسان بين الطب والقرآن (١٨٨).

وللنطفة في القرآن ثلاثة معان هي:

المعنى الأول: ماء الرجل، **المعنى الثاني:** النطفة وهو أيضا ماء المرأة أي حويصلة البويضة وهو ماينضج في مبيضها مرة واحدة في الشهر أي بويضة المرأة.

المعنى الثالث: النطفة هي الطور الأول في تخلق الجنين، ويبدأ طور النطفة منذ بدء الحمل وينتهي في اليوم الخامس أو السادس منه، مع بدء طور العلقة[١]

وقد وصفت النطفة بأوصاف في القرآن الكريم منها:

أمشاج: يقول تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٢].

والمشج في اللغة: المَشجُ والمَشِجُ والمَشِيج ماء الرجل يختلط بماء المرأة، قَالَ الْفَرَّاءُ: الأَمْشاجُ هِيَ الأَخْلاطُ: ماءُ الرجلِ وَمَاءُ المرأَةِ والدمُ والعَلَقَة، وَيُقَالُ لِلشَّيْءِ مِنْ هَذَا: خِلْطٌ مَشِيجٌ[٣].

العلقة: قال تعلى: ﴿**ثم خلقنا**﴾ أي حولنا النطفة عن صفاتها إلى صفات العلقة وهي الدم الجامد الغليظ[٤].

المضغة: قال تعالى: ﴿**فخلقنا العلقة**﴾ أي جعلنا ذلك الدم الجامد مضغة أي قطعة لحم كأنها مقدار ما يمضغ[٥].

---

(١) ينظر: من علم الطب القرآني الثوابت العلمية في القرآن الكريم، لعدنان الشريف، الناشر: دارالعلم للملايين – بيروت –١٩٩٠م (٣٦-٣٧).

(٢) سورة الإنسان: الآية (٢).

(٣) لسان العرب (٣٦٧/٢).

(٤) تهذيب اللغة (١٦٢/١).

(٥) لسان العرب (٤٥١/٨).

العظام: قال تعالى: ﴿**فخلقنا المضغة**﴾ فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما، ﴿**فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا**﴾ يقول: فألبسنا العظام لحما وذلك لأن اللحم يستر العظام فجعله كالكسوة لها. ﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ**﴾ وهو طور ما بعد مراتب النطفة(١).

المسألة الثالثة: خلق الأنعام

لما ذكر الله تعالى في سورة النحل خلق السموات والأرض والإنسان أتبعها بذكر ما ينتفع به الإنسان من سائر ضروراته، امتنانا من الله تعالى على عباده بما خلق لهم من الأنعام والمنافع المترتبة عليها والمتأمل في سورة النحل يجد أن لفظ الأنعام ذكر ثلاث مرات في السورة الكريمة وهي كالتالي:

قال تعالى: ﴿**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾(٢).

قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾(٣).

قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**﴾(٤).

ففي الآيات الكريمة بين الله تعالى امتنانه على عباده بخلق الأنعام (الإبل والبقر والضأن والمعز كما بينها في ==

(١) ينظر"بتصرف": تفسير الطبري (١٦/١٩).
(٢) سورة النحل: الآيتان (٥– ٧).
(٣) سورة النحل: الآية (٦٦).
(٤) المصدر السابق: الآية (٨٠).

==سورة الأنعام[1]) فعدد ذكر منافعها ومنها: الدفء، والأكل والركوب، والحمل عليها، والمنافع الأخرى، **فبدء (ﷻ) بذكر المنافع الضرورية وبيانها التالي:**

- **منفعة الدفء:** وهو اسم لما يدفئ أي ألبسه ما يدفئه، وهو أيضا نتاج الإبل من الأصواف و الأوبار[2].

وهو ما يستدفئ به من اللباس والأكسية ونحوها المتخذة من الأصواف والأوبار والأشعار الحاصلة من النعم وقدم (ﷻ) منفعة الدفء والمقصود منه اللباس لأن منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الأكل.[3]

- **منفعة الأكل:** وهو الأصل الذي يعتمده الناس في معايشهم لأنها تحتوي على نسبة كبيرة من البروتين، وقدم ذكر المنافع على على ذكر الأكل للدلالة على أن الأكل أعظم المنافع.ومن رحمة الله بعباده أن سخر هذه الأنعام وذللها على الرغم من فخامتها وقوتها وجعلها غير مستعصية على الإنسان في ذبحه لها[4].

- **منفعة الزينة:** ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**﴾ والشعور بالسعادة عند رؤيتها وخص هذين الوقتين لأنهما وقت نظر الناظرين إليها لأنها عند استقرارها في الحظائر لا يراها أحد بينما يراها الجميع في هذين الوقتين،

---

(١) قال تعالى: ﴿**ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾. سورة الأنعام: الآيتين (١٤٣-١٤٤).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٦٠٤/٢).

(٣) ينظر: بتصرف ": تفسير الطبري (١٦٨/١٧).

(٤) ينظر بتصرف تفسير الألوسي (٣٤٤/٧)، تفسير الطبري (١٦٩/١٧).

وهي ملأى البطون حافلة ضروعها باللبن، فيفرح بها أربابها وتتجمل بها الأفنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس(١).

– **منفعة حمل الأثقال والركوب:** وذلك بالحمل عليها، فتحمل الأحمال الثقيلة التي يعجز الإنسان عن نقلها وحملها، ومن تمام نعم الله بعباده أن زود الإبل بصفات تمكنها من تحمل مشاق السفر والجوع والعطش وحمل الأثقال مدة طويلة لتكون مسخرة لخدمة الإنسان(٢).

– **الانتفاع بلبنها:** في قوله: ﴿**نسقيكم**﴾ من عظيم صنع الله أن يخرج اللبن من ضروع الأنعام وذكر في الآية الأنعام باعتبار بعضها وهي الإناث اللتي يكون منها اللبن مستخلصا من بين فرث مما تبقي في أمعائها من الطعام بعد الهضم، وامتصاص الأمعاء للعصارة التي تتحول إلى دم يذهب إلى كل خلية في الجسم، فإذا صار إلى غدد اللبن في الضرع تحول إلى لبن ببديع صنع الله، الذي لايدري أحد كيف يكون(٣)، لأن اللبن لا يعدله غذاء نظرا لعظيم فوائده وقد قال رسول الله (ﷺ)﴿**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَإِذَا سُقِيَ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا اللَّبَنُ**﴾(٤).

– **جعل من جلود الأنعام بيوتا**": فقد جعل الله لهم من جلود الأنعام بيوتا وهي البيوت المتخذه من أصواف الغنم وأوبار الإبل وأشعار المعز يستخفون حملها

(١) تفسير ابن كثير(٥٧٧/٤)، تفسير الخازن (٦٧/٣).

(٢) المصدر السابق (٥٥٧/٤).

(٣) ينظر بتصرف تفسير الألوسي (٣٤٥/٧).

(٤) سنن الترمذي (٣٨٤/٥ ح٣٤٥٥)، كتاب الدعوات، باب: مَا يَقُولُ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا، رواه عبد الله ابن عباس وقال الترمذي حديث حسن.

يوم سفرهم ويوم إقامتهم في بلادهم كما تستخدم متاع للبيوت بصنع الأكسية والبسط[١]

سادسا: من لطائف التفسير:

أولاً: نلاحظ أولاً في هذه الآيات وما بعدها غاية الحسن في هذا الترتيب العجيب في الاحتجاج على وجود الإله المختار بالأشراف فالأشراف من مخلوقاته (ﷻ) فيبدأ بذكر الأجرام العالية الفلكية ثم ثنى بذكر الاستدلال بأحوال الإنسان ثم ثلث بذكر الاستدلال بأحوال الحيوان ثم بذكر الاستدلال بأحوال النبات.

ثانياً: الخلق نفسه نعمة، خلق الأنفس نعمة، وخلق الأجهزة والأعضاء، وهداية كل عضو إلى ما يصلحه نعمة، فما أجل نعم الله على الإنسان خلقا وإيجادا وإعدادا وإمدادا فأعد النّظر فِي نَفسك وَتَأمل حِكْمَة اللَّطِيف الْخَبِير فِي تركيب الْبدن وَمَا فِي ذَلِك من دَقِيق التَّرْكِيب ولطيف الْخلقَة وخفي الْحِكْمَة وبديع الصَّنْعَة كل هَذَا صنع الله أحسن الْخَالِقِينَ فِي قَطْرَة من مَاء مهين[٢].

ثالثاً: وصف الإنسان في قوله: ﴿**خصيم مبين**﴾ بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة، وهو يظهر ذلك ولا يخفيه. والإتيان بحرف المفاجأة جعل **الكلام مفهما أمرين هما: التعجيب** من تطور الإنسان من أمهن حالة إلى أبدع حالة وهي حالة الخصومة والإبانة الناشئتين عن التفكير والتعقل، **والدلالة على كفرانه النعمة** وصرفه ما أنعم به عليه في عصيان المنعم عليه.

---

(١) ينظر بتصرف: تفسير الجلالين (٢٤٧/١).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت (١/٢٦٢).

فالجملة في حد ذاتها تنويه، وبضميمة حرف المفاجأة أدمجت مع التنويه التعجيب. ولو قيل: فهو خصيم أو فكان خصيما لم يحصل هذا المعنى البليغ.(١)

رابعاً: ربط الله تعالى بين مبدأ الإنسان في قوله: ﴿**خلق الإنسان من نطفة**﴾ وبين مصيره في قوله: ﴿**فإذا هو خصيم مبين**﴾ وكأنه لا يوجد بينهما فترة واسعة، ليقف الإنسان متأمل بين المشهدين.

خامساً: في الخلق والتدبير دعوة للإنسان إلى التفكر في نفسه التي هي أقرب الأشياء إليه بما ينير له آيات الربوبية لأنه لو وقف كل مع نفسه وقفة تأمل لتذكر تماما عناية الله تعالى له قبل أن يكون شيئا مذكورا.

سادساً: في قوله تعالى: ﴿**خلقها لكم**﴾ إشارة إلى تكريم الله لهذا الإنسان **فكأنه يقول:** ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان، والحصر مستفاد من اللام.

سابعاً: في قوله تعالى: ﴿**لكم فيها دفء ومنافع**﴾ قدم دفء على منافع رعاية لأسلوب الترقي إلى الأعلى، وفي قوله: ﴿**منافع**﴾ بعد دفء ذكر للعام بعد الخاص وخص الدفء بالذكر من بين عموم المنافع للعناية به لأن أمر الدفء قلما تستحضره الخواطر وتقديم المجرور في قوله تعالى: ومنها تأكلون للاهتمام، لأنهم شديد والرغبة في أكل اللحوم.(٢)

ثامناً: ولكم فيها جمال: كرر لكم لأمرين، لبعد العهد وزيادة في التفريع والامتنان.

تاسعاً: في تقديم الإراحة على السرح في قوله تعالى: ﴿**حين تريحون وحين تسرحون**﴾ مع أنها متأخرة في الوجود عنه لأنها أظهر منه في استتباع ما ذكر

---

(١) التحرير والتنوير (١٠٣/١٤).

(٢) المصدر السابق (١٠٥/١٤).

من الجمال وأتم في استجلاب الأنس والبهجة إذ فيها حضور بعد غيبة، وإقبال بعد إدبار على أحسن ما يكون ملأى البطون حافلة الضروع. والإتيان بالمضارع في تريحون وتسرحون لأن ذلك من الأحوال المتكررة.وفي تكررها تكرر النعمة بمناظرها(١).

عاشراً: في تذييل الآية الكريمة بقوله (ﷻ): ﴿**إن ربكم لرؤف رحيم**﴾ بيان للخلق أنه (ﷻ) برحمته بهم، ورأفته بأحوالهم، خلق لهم هذه الحوامل ويسر لهم هذه المصالح، ولذلك أسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الأمور الشاقة.(٢)

الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿**لتركبوها وزينة**﴾ جاء التعبير هكذا، فجاء الأول بلام التعليل وجاء الثاني مجردا منها: لأن الأول – أي الركوب – فعل المخاطبين والثاني فعل الله (ﷻ)، ومتى لم يتحد الفاعل تعين الحاق اللام قال الإمام الألوسي: "وذكر بعض المدققين: أن في عدم مجيئها على سنن واحد دلالة على أن المقصود الأصلي الأول فجيء بالحروف الموضوعة لذلك قد اقتصر على منة الركوب على الخيل والبغال والحمير والزينة، ولم يذكر الحمل عليها لأنهم لم تكن منعادتهم الحمل على الخيل والبغال والحمير، فإن الخيل كانت تركب للغزو وللصيد، والبغال تركب للمشي والغزو، والحمير تركب للتنقل في القرى وشبهها. فلا يتعلق الامتنان بنعمة غير مستعملة عند المنعم عليهم(٣).

الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿**وعلى الله قصد السبيل**﴾ على للوجوب مجازا والكلام على حذف مضاف أي متحتم عليه تعالى متعين كالأمر الواجب لسبق

(١) روح المعاني (٩٩/١٤)، الجدول في إعراب القرآن الكريم(٢٨٧/١٤)، المرجع السابق.
(٢) المصدر السابق (٩٩/١٤).
(٣) التحرير والتنوير (١٠٨/١٤).

الوعد وفي هذا إشارة إلى كمال رعاية الله لخلقه فقد أوجب (ﷻ) على نفسه أن يبين لهم الطريقة المستقيمة فأرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، وأضاف القصد بمعنى المستقيم إلى السبيل من إضافة العام إلى الخاص.

الثالث عشر: كان الظاهر أن يقول وعلى الله قصد السبيل وجائرها أو وعليه جائرها إلا أنه عدل إلى ما في الآية الكريمة، لأن الضلال لا يضاف إلى الله تعالى تأدبا.وفي الجملة الكريمة إيجاز بالحذف والمعنى: وعلى الله بيان قصد السبيل وإذا كان المعنى وعلى الله قاصد السبيل فيكون المصدر بمعنى الفاعل فلا حذف.(١)

سابعا: ما ترشد إليه الآيات:

أولاً: كل ما في الكون خلق بالحق فتعالى الله أن يخلق خلقا للعبث، وكل مخلوق يدل على أنه له صانعا حكيما مدبرا، وأن الله (ﷻ) سيجزي الذين آمنوا بالحسنى، وأن من أعرض وتكبر وجحد وكفر سيلقي أشد العذاب يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ثانياً: لو تفكر الإنسان في نفسه، وتدبر في منشئته، وبداية أمره لأيقن أن له إلها عظيما خالقا حكيما.(٢)

ثالثاً: موقف الإنسان من ربه غريب، فالله خالقه وهو يخاصم ربه، ويجادل في لقائه، ويرفض طاعته وإتباع دينه.(٣)

رابعاً: كل ما في الكون مسخر لخمة الإنسان وسعادته ومصلحته.

---

(١) روح المعاني (٩٩/١٤).

(٢) ينظر "بتصرف": تفسير ابن كثير (٥٥٦/٤).

(٣) ينظر بتصرف: الكشاف (٤٠١/٢).

خامساً: الله تعالى يقدم للإنسان ما عليه حياته وما تقوم به معيشته من ضرورات، وأيضا بهجة العين، ومتعة النفس، فهو (ﷻ) لا يكتفي بتقديم وتسهيل وتيسير الضرورات لعباده.

سادساً: في القرآن إشارات كثيرة لما سيكتشفه العلم في كل عصر، فهو كتاب رب العالمين الذي أحاط بكل شيء علما.

سابعاً: من رحمة الله بنا بين لنا الطريق المستقيم الذي يجب علينا أن نسلكه لنصل إلى سعادة الدنيا وعز الآخرة.

ثامناً: ينبغي أن نتعلم الأدب عند الحديث عن الله (ﷻ) فمع أن كل شيئ من عنده تعالى إلا أنه يجب أن لا ننسب له الشر تأدبا وحياء.[١]

تاسعاً: من سلك الطريق المستقيم هداه الله، وأعانه عليه ورعاه فمن اهتدى زاده الله هدى وإيمان وتقوى ويقينا.[٢]

(١) ينظر "بتصرف ": تفسير الألوسي (١٠/١٤).

(٢) ينظر "بتصرف "تفسير: الرازي (٢٣٢/١٩).

المطلب الثاني
نعمة الإمداد

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[1].

أولا: علاقة الآيات بما قبلها:

لما ذكر الله (ﷻ) ما أنعم به على عباده من الأنعام والدواب وفي خلقه لما لا يعلمه البشر، شرع في ذكر نعمته عليهم في إنزال المطر، من السماء – وهو العلو– مما لهم فيه –وفيما ينبته بهذا الماء النازل من السماء من أنواع الزرع المختلفة – متاع لهم ولأنعامهم، وذكرهم (ﷻ) بنعمه الهائلة العظيمة، بتسخيره الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والجميع تحت قهره وسلطانه وتقديره.

وقال الشوكاني: "لما استدل (ﷻ) على وجوده وكمال قدرته وبديع صنعته بعجائب أحوال الحيوانات، أراد أن يذكر الاستدلال على المطلوب بغرائب أحوال النبات"[2].

ثانيا: معاني المفردات:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾:

والمراد من الماء نوع منه وهو المطر، ومن السماء إما السحاب على سبيل الاستعارة أو المجاز المرسل، وإما الجرم المعروف والكلام على حذف مضاف أي من جانب السماء أو جهتها[3].

---

(١) سورة النحل: الآيات من (١٠-١٣).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/١٨٢).

(٣) روح المعاني (٣٤٨/٧).

وقد ذكر لفظ الماء في سورة النحل في موضعين[١].

﴿**لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ**﴾: الشراب اسم لما يشرب، كالطعام لما يطعمه[٢].

والمعنى: أن الماء النازل من السماء قسمان: قسم يشربه الناس ومن جملته، ماء الآبار والعيون، فإنه من المطر، والقسم الثاني: يحصل به شجر ترعاه المواشي.

﴿**وَمِنْهُ شَجَرٌ**﴾: قال الزجاج: كل ما ينبت من الأرض فهو شجر لأن التركيب يدل على الاختلاط الحاصل في العشب والكلأ وفيما له ساق. وقال ابن قتيبة: المراد من الشجر في الآية الكلأ، وقيل: الشجر كل ما له ساق كقوله تعالى: ﴿**والنجم والشجر يسجدان**﴾[٣] والعطف يقتضي التغاير، فلما كان النجم ما لا ساق له وجب أن يكون الشجر ما له ساق، وأجيب بأن عطف الجنس على النوع جائز.[٤]

﴿**فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾: يقال: سامت السائمة تسوم سوماً: رعت: فهي سائمة، وأسمتها، أي: أخرجتها إلى الرعي فأنا مسيم، وهي مسامة وسائمة، وأصل السوم الإبعاد في المرعى. قال الزجاج: أخذ من السومة وهي العلامة، لأنها تؤثر في الأرض علامات برعيها.[٥]

---

(١) الآيتان: (١٠-٦٥).

(٢) لسان العرب (٤٨٨/١)، تاج العروس من جواهر القاموس (١١٢/٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة (١٩١/٣).

(٤) فتح القدير للشوكاني (١٨٢/٣).

(٥) المرجع السابق، بصائر ذوى التمييز (٢٨٢/٣)، معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، لأبي إسحاق الزجاج، (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م(٤٧٦/١).

أي فيه ترعون أنعامكم وسمّيت الأنعام سائمة، لأنها تسم الأرض بأرجلها، أي تترك فيها أثرا، أو تسم المراعى بما تأكل منها، فتترك آثارها عليها[١].

فالأنعام تتغذى ببعض أنواع النباتات، وهذا الكلأ لا ينبت إلا بوجود الماء، كما تحتاج الأنعام إلى شرب الماء وبذلك تستمر حياتها بإرادة الله تعالى، ويترتب على ذلك كله سعادة الإنسان، لأنها من النعم التي يتغذى ويتمتع بها[٢].

يُنْبِتُ: النون والباء والتاء أصل واحد يدل على نماء الأرض في مزروع ثم يستعار، يقال: نبت وأنبت الأرض ونبت الشجر: غرسته، كل ما أنبته الله في الأرض فهو نبت، والنبتة: شكل النبات وحالته التي ينبت عليها والنبتة: الواحدة من النبات، والنبات من كل شيء: الطري حين ينبت صغيرا، والتنبيت: أول خروج النبات وما نبت على الأرض من نبات من دق الشجر وكبارة.[٣]

﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾: **الآية:** هي العلامة الظاهرة، وحقيقته لكل شيء ظاهر وهي: مشتقة من التأيي الذي هو التثبت والإقامة على الشيء.[٤]

فيها دعوة للتفكر في الآيات القرآنية المعجزة بكل كلمة فيها والتفكر في الآيات الكونية وما فيها من إبداع صنع الله[٥].

وَسَخَّر: التسخير: سياقه إلى الغرض المختص قهرا، ومعنى تسخيرها للناس: تصييرها لما ينفع العباد بحسب ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه حاجاتهم

(١) التفسير القرآني للقرآن (٢٧٤/٧).
(٢) تفسير الطبري (٧٦٠/١٤).
(٣) معجم مقاييس اللغة (٣٧٨/٥)، الصحاح (٢٦٨/١)، لسان العرب (٩٥/٢).
(٤) المفردات في غريب القرآن (١٠١).
(٥) تفسير الخازن (٨٢/٤).

والتسخير هو التذليل[١].

﴿**اللَّيْلَ وَالنَّهَار**﴾: ظاهرتان متلازمتان للأرض تتوقف عليهما حياة الناس، وحياة كل من على الأرض ويحدث الليل والنهار من تسخير الشمس مع الأرض بما أوجد الخالق بينهما من مطاوعة في الخلق.

﴿**الشَّمْسَ**﴾: آية من آيات الله الكونية أطلق عليها هذا الاسم لما لها من قرصة، أو لما ينتشر عنها من ضوء وهي التي يصدر عنها ذلك السراج الوهاج الذي يبدد ظلام الليل.[٢]

﴿**الْقَمَرَ**﴾: من آيات الله الكونية وسمي بذلك لأنه يقمر ضوء الكواكب ويفوز به، واسمه يدل على بياضه يقال ليلة قمراء: أي مضيئة [٣].

﴿**النُّجُومُ**﴾: جمع ومفرده، وهو الكوكب الطالع الظاهر، والنجم تارة يطلق اسما على الكوكب وأخرى مصدرا كالطلوع[٤].

ففي النجوم عالم رحب لا حدود له، وأكوان عجيبة تذهل العقول وتخشع لروعتها القلوب، لأن ما يرى من النجوم ما هو إلا حبات منثورة في السماء، كما يظهر للرائي لفرط بعدها، وإلا فالنجوم أكبر من الشمس بأضعاف، وإن أصغر نجم فيها يعدل جرم الشمس آلاف المرات[٥].

---

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٣٧هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (٣٠٢٥).

(٢) المفردات في غريب القرآن(٤٦٤/١).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦٨٦/٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣٩٧/٥).

(٥) التفسير القرآني للقرآن (٢٧٥/٧).

﴿**وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾: أي: خلق، يقال: ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءا: خلقهم، فهو ذارئ، ومنه الذرية، وهي نسل الثقلين(١).

﴿**مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ**﴾: أي أصنافه كما قال جمع من المفسرين وهو مجاز معروف في ذلك.

الألوان: يعبر بها عن الأجناس والأنواع يقال: فلان أتى بألوان من الحديث والطعام وكان ذلك لما أن اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون، وقيل: المراد المعنى الحقيقي أي مختلفا ألوانه من البياض والسواد وغيرهما والأول أبلغ.(٢)

ثالثا: وجوه القراءات:

قرأ يحيى وحماد ننبت بالنون والآخرون بياء الغيبة وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ كلها مرفوعات: ابن عامر وافق حفص والمفضل في النُّجُومُ مُسَخَّراتٌ، و الباقون: بنصب الجميع على أن مُسَخَّراتٌ حال.(٣)

رابعا: المباحث العربية:

﴿**وَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء**﴾: من ابتدائية

﴿**لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ**﴾: يجوز أن يتعلق لكم بأنزل، أو هو خبر مقدم، وشراب مبتدأ مؤخر والجملة صفة لماء ومنه في محل نصب على الحال من قوله (ﷻ) شراب أي ما تشربون.

﴿**ومن**﴾: تبعيضية.(٤)

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/١٨٣).

(٢) روح المعاني (٧/٣٥٣).

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٤/٢٤٠).

(٤) التبيان في إعراب القرآن (٢/٧٩١).

﴿**وَمِنْهُ شَجَرٌ**﴾: من إما للتبعيض مجازا، لأن الشجر لما كان حاصلا بسقيه جعل كأنه منه وإما للابتداء، أي وكائن منه شجر والأول أولى رعاية لما قبله فهو أنسب به.أو سببية، أي وبسببه إنبات شجر.

﴿**ينبت**﴾: أي الله (ﷻ) وعلى قراءة ننبت بنون العظمة أي نحن ننبت لكم وجملة ينبت لكم به أي بما أنزل من السماء فالضمير في به يعود إلى الماء النازل من السماء يحتمل أن يكون صفة أخرى لماء، وأن تكون مستأنفة استئنافا بيانيا كأنه قيل: وهل له منافع أخر؟ فقيل ينبت لكم..الخ.

﴿**يُنْبِتُ**﴾: مضارع فاعله مستتر، ﴿**لَكُمْ**﴾: متعلقان بينبت،

﴿**بِهِ**﴾: متعلقان بينبت. ﴿**الزَّرْعَ**﴾: مفعول به والجملة مستأنفة، وَالزَّيْتُونَ: معطوف على الزرع.

﴿**وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ**﴾: عطف على ما سبق.

﴿**وَمِنْ كُلِّ**﴾: معطوف على ما تقدم، **الثَّمَرَاتِ**: مضاف إليه.

﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً**﴾: إن والجار والمجرور متعلقان بالخبر المقدم ذا اسم إشارة واللام للبعد والكاف للخطاب.

﴿**آية**﴾: اسم إن واللام المزحلقة والجملة مستأنفة «لِقَوْمٍ» متعلقان بمحذوف صفة لآية.

﴿**يَتَفَكَّرُونَ**﴾: مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة صفة لقوم(١).

﴿**وسخر**﴾: ماض فاعله مستتر والجملة معطوفة، **لكم**: متعلقان بسخر

﴿**الليل**﴾: مفعول به، **النهار**: معطوف على الليل.

---

(١) إعراب القرآن الكريم، لأحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، الناشر: دار المنير ودار الفارابي، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ(١٥٣/٢)

﴿**والشمس والقمر**﴾: من قرأ بالرفع على الابتداء والخبر، ومن قرأ بالنصب عطفا على الليل والنهار، وقرأ حفص عن عاصم برفع النجوم على أنه مبتدأ وخبره مسخرات بأمره على قراءة النصب في مسخرات يكون حالا مؤكدة، لأن التسخير قد فهم من قوله وسخر، وقرأ حفص في رواية برفع مسخرات مع نصب ما قبله على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي مسخرات.(١)

وقوله: ﴿**بأمره**﴾: أي خلقت بخلقه تعالى وتدبيره الجاري على وفق مشيئته، فالأمر واحد الأمور، ويمكن أن يكون واحد الأوامر، ويراد منه الأمر التكويني. والمعنى أنها مسخرة لما خلقت له بقدرته تعالى وإيجاده.

﴿**إن في ذلك لآيات**﴾: أي التسخير المتعلق بما ذكر.

﴿**وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾: العطف عند البعض على النجوم رفعا، ونصبا على أنه مفعول لجعل، وما موصولة أي والذي ذرأ لكم في الأرض: والظاهر فيه العموم حال كونه مختلفا ألونه، وألوانه مرفوع بمختلفا.(٢)

خامسا: معاني الآيات الكريمة:

بين الله تعالى في هذه الآيات الكريمة نعمه على عباده ومن هذه النعم نعمة إنزال الماء من السماء الذي لا غنى للحياة ولا للأحياء عنه، ينزل وفق قوانين ونواميس كونية خلقها الله وفق إرادته وتدبيره، جعل الله هذا الماء شرابا مستساغا استفاد منه كل الأحياء على لأرض، ثم من هذا الماء ينبت الله لكم بقدرته أنواع مختلفة من النباتات التي تسر العين منها تأكلون وتتفكهون من كل أنواع الثمرات على إختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها.

---

(١) التبيان في إعراب القرآن(٢/٧٩١).

(٢) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة، دمشق، بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ (٥/٢٧٨).

كل ذلك علامة واضحة ظاهرة لمن يبصر ويرى ويتدبر ويفكر دالة على كمال قدرته وتفرده (ﷻ) بالربوبية والذين يدركون حكمة التدبر والتفكير هم الذين يربطون بين ظاهرة المطر وما ينشئ على الأرض من حياة وبين نواميس الكون ودلالتها على الخالق (ﷻ).

ثم انتقلت الآيات إلى الحديث عن نعمة أخرى وهي تسخير الليل والنهار والشمس والقمر هذه المخلوقات الهائلة لخدمة الإنسان، فظاهرة الليل والنهار ذات أثر حاسم في حياة البشرية، ومن شاء فليتصور نهار بلا ليل، أو ليل بلا نهار، ثم يتصور كيف تكون حياة الكائنات الحية ؟كذلك الشمس والقمر، وعلاقتهما بالحياة على الكوكب الأرضي، وعلاقة الحياة بهما في أصلها ونموها.فأصحاب العقول هم الذين يتدبرون ويدركون ما وراء الظواهر من سنن وقوانين وحكم وأحكام وأسرار وتدبير(١).

اشتملت الآيات الكريمة على عدة مسائل:

المسألة الأولى: نعمة نزول المطر:

بين الله تعالى عظيم مننه على عباده بإنزال الماء من السماء إذ به قوام حياة كل الأحياء، وقد ذكر لفظ الماء في سورة النحل في موضعين:

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾(٢).

قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾(٣).

(١) ينظر "بتصرف": تفسير ابن كثير (٢/٥٦٤)، محاسن التأويل (٥٠٨/٤).

(٢) سورة النحل: الآية (١٠).

(٣) المصدر السابق: الآية (٦٥).

امتن الله تعالى على عباده بنعم كثيرة ومنها نعمة الماء، التي تشمل جميع الكائنات الحية على سطح الأرض بما فيهم الإنسان، فالإنسان لا تستمر حياته إذا منع من الماء لبضعة أيام، لأن جسمه يحتوي على حوالي ٧٠% من وزنه ماء، لأن الماء يعمل على توصيل العناصر الغذائية إلى خلايا الجسم وإفراز المواد الضارة، كما يعمل على تلطيف درجة حرارة الجسم عن طريق رشحه من مسام الجسم، ويعتبر مكونا أساسياً للدم، ويعتبر الماء العذب أفضل مادة تروي ظمأ الإنسان.(١)

وكلمة الماء في القرآن الكريم جاءت على أربعة أوجه وهي كالتالي:

﴿**المطر**﴾، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾(٢).

وهذا كثير في كتاب الله (ﷻ).

﴿**النطفة**﴾، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ**﴾(٣) يعني نطفة.

﴿**القرآن**﴾، كما في قوله تعالى: ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**﴾(٤) يعني القرآن.(٥)

---

(١) ينظر: القرآن وإعجازه العلمي، لمحمد إسماعيل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي (٩٥)، معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن، لدكتور نبيه عثمان، سلسلة دعوة الحق، إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي عدد٥٠ السنة الخامسة ١٤٠٦هـ (٣٣٦).

(٢) سورة النحل: الآية (١٠).

(٣) سورة النور: جزء من الآية (٤٥).

(٤) سورة الرعد: جزء من الآية (١٧).

(٥) ينظر: الوجوه والنظائر للدمغاني (٤٢٠/١).

- **الماء بحالته السائلة**، الموجود في الأرض كالمياه الجوفية، ومياه الأنهار، كما في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ**﴾(١).

وقد تقدم الحديث عن نعمة إنزال المطر من السماء في ضوء سورة النحل.

المسألة الثانية: نعمة النبات:

من عظيم صنع الله تعالى نمو النباتات المختلفة الأشكال والألوان والطعوم على الرغم من سُقيهَا بماء واحد وفي ذلك دليل على عظيم صنع الله وقدرته مما يقوي في الإنسان عقيدة الإيمان بربه (ﷻ).

والناظر في القرآن الكريم يجد أن الله تعالى ذكر أنواع ما ينبت من الأرض وأطلق عليها أسماء متعددة منها:

النبات، والزرع، والحرث، والشجر، والثمر، الفواكه، والنخيل إلى غير ذلك من الأسماء التي لها صلة بالنبات، والمتأمل في معنى النبات عند علماء اللغة يجد أنه يفيد معنى الغرس والزرع والحرث، فكل ما أنبت الله في الأرض فهو نبت، يقال نبت الزرع أي نشأ وظهر من الأرض(٢).

والنبات في القرآن يأتي على أربعة أوجه:

- **النبات بعينه**، كما في قوله تعالى: ﴿**فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا**﴾(٢).
- **الخلق**، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا**﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة: جزء من الآية (٧٤).
(٢) سورة عبس: الآيتان (٢٧-٢٨).
(٣) سورة نوح: الآية (١٧).

– **الإخراج**، كما في قوله تعالى: ﴿**كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ**﴾(١)

– **التربية**، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا**﴾(٢)(٣).

والمتأمل في سورة النحل يجد أن لفظ النبات ذكر بصيغة الفعل مرة واحدة وبلفظ الزرع مرة واحدة في آية واحدة قال تعالى: ﴿**يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(٤).

أي: يُنْبِتُ لَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ زَرْعَكُمْ، وَزَيْتُونَكُمْ، وَنَخِيلَكُمْ، وَأَعْنَابَكُمْ يَعْنِي مِنْ كُلِّ الْفَوَاكِهِ أَرْزَاقًا لَكُمْ وَأَقْوَاتًا وَإِدَامًا وَفَاكِهَةً، نِعْمَةً مِنْهُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ وَتَفَضُّلًا، وَحُجَّةً عَلَى مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْكُمْ وفي ذلك دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ وَعَلَامَةٌ بَيِّنَةٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فِي حُجَجِهِ(٥).

وقد ذكر (ﷻ) في الآية الكريمة الثمار تفصيلاً وإجمالاً فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذي يقتات به كالحنطة والشعير وما أشبههما لأن به قوام بدن الإنسان، وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الأدم والدهن والبركة، وثلث بذكر النخيل لأن ثمرتها غذاء وفاكهة، وختم بذكر الأعناب لأنها شبه النخلة في

(١) سورة البقرة: جزء من الآية (٢٦١).

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية (٣٧).

(٣) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر مؤسسة الرسالة (٥٨٢).

(٤) سورة النحل: الآية (١١).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١٨٣/١٤).

المنفعة من التفكه، والتغذية، ثم ذكر سائر الثمرات إجمالاً لينبه بذلك على عظيم قدرته، وجزيل نعمته على عباده[١].

فالآية الكريمة ذكرت الغذاء النباتي فقدم الأهم وما هو أصل الأغذية وقوت أكثر أهل العالم ألا وهي الحبوب بمختلف أنواعها، ثم أتبعه بذكر الزيتون والنخيل والأعناب وغيرها من الثمرات بشكل مجمل في قوله "ومن كل الثمرات "لأنه مما يتفكه به والأصل يقدم على ما يتفكه به.[٢]

فالمتدبر في بداية الثمر ونهايته يجد مشهدا جدير بالتأمل والاستبصار فهذا التباين الواضح في البداية الضعيفة الخاملة، والنهاية القوية الزاهرة في حياة الثمر إنما هو دليل حي وبرهان قوي على قدرة الله (ﷻ)[٣].

المسألة الثالثة: نعمة تسخير الليل والنهار:

الليل والنهار مظهران من مظاهر التدبر في الخلق، ومن ظواهر النعمة على البشر لأنهما مما يلبيان حاجة الإنسان في الأرض، وقد سخرتا لمنفعته، وبدونهما لا تستقيم الحياة على الأرض فبحلول الليل يكون السكون والهدوء والنوم والراحة، وفي النهار يكون العمل والحركة وكسب الرزق[٤].

والناس دائما وأبدا يشاهدون الليل والنهار وهما يتعاقبان على الأرض بانتظام ودون انقطاع مع تغيرات تطرأ في حال الظلمة والضياء.

مفهوم الليل في الشرع: هو الذي يمتد من غروب الشمس حتى طلوع الفجر.

---

(١) ينظر: تفسير الخازن (٦٩/٣).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) ينظر بتصرف: الكشاف للزمخشرى (٤٠/٢).

(٤) ينظر بتصرف: تفسير الرازي (١٨٦/٢٠)، تفسر ابن كثير (٥٦٤/٢).

مفهوم النهار في الشرع: هو الذي يمتد من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.(١)

مفهوم الليل والنهار عند علماء الفلك: النهار: هو القسم من اليوم الذي يكون فيه موقعك مواجهاً للشمس.

والليل: هو القسم من اليوم الذي ينتقل فيه موقعك متوارياً عن الشمس.(٢)

فالأرض تدور حول محورها، ونتيجة هذا الدوران، فإن إضاءة الشمس تنتقل على سطح الكرة الأرضية، من الشرق إلى الغرب، حيث في ساعات النهار تكون الشمس مواجهة للنصف الأول من الكرة الأرضية، وبعد انقضاء النهار، تكون الأرض قد أكملت النصف الثاني لدوارنها حول نفسها، فينتقل النصف الأول ويتوارى عن الشمس، ويدخل في فترة الليل، فينتج عن ذلك ظاهرة الليل والنهار، من الناحية الفلكية العلمية.(٣)

والمتأمل في سورة النحل يجد أن تسخير الليل والنهار ذكر مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾(٤).

---

(١) ينظر: فقه السنة (٤٣٧)، تفسير الطبري (٤١٣/٣).

(٢) ينظر: الكتاب الأول عن الزمن، لبيندبك جين، ترجمة محمد برهان الدين بنداوي، مراجعة محمد جميل القصاص، الطبعة الأولى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ١٩٩٢م (٧٥).

(٣) ينظر: الأرض في القرآن الكريم، لآغا شاهر جمال، الناشر: دار الكتاب الثقافي الأردن (٦٧).

(٤) سورة النحل: الآية (١٢).

قارن الله تعالى في الآية الكريمة بين الليل والنهار وهذا كثير في القرآن الكريم (فعندما تذكر كلمة النهار، فلابد أن يسبقها كلمة الليل، فهما مرتبطان معاً، فلا نهار بلا ليل يسبقه، ولا نهار بلا ليل يتبعه، وقد ذكر ذلك في القرآن، أربعة وخمسون مرة)[١].

وقدم الليل على النهار في الذكر للسبق في الزمان، باعتبار الإيجاد فإن الله (ﷻ) قد خلق الظلمة قبل النور، فالأصل الظلام وبمجيء الصباح، يغطي هذا الظلام بنور الصباح، ثم يزال هذا النور، بمجيء الظلام مرة أخرى[٢].

فدوران الأرض حول محورها ينتج عنه تعاقب الليل والنهار كما ذكر ذلك علماء الفلك[٣].

ومن مظاهر تسخير الليل والنهار:

- معرفة عدد السنين والحساب:

وذلك عن طريق معرفة عدد الأيام، واليوم هو ما يعبر به عن وقت طلوع الشمس إلى غروبها وقد يعبر به عن مدة من الزمن ويقدر بأربعة وعشرين ساعة[٤] فالليل يعقب النهار، وهو من مغرب الشمس إلى طلوعها ويترتب على ذلك كثير من الأحكام الشرعية المتعلقة بالصيام والصلاة والحج وغيرها قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ**

(١) الإبداع الإلهي بين الجلال والجمال، هالة محجوب خضر، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ٢٠٠٦م (١١٨).

(٢) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي(١٧٧)، تفسير الألوسي (٣٧/١٢)، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، لمنير محمود المسيري، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة وهبة القاهرة ٢٠٠٥م (٢٢٨).

(٣) ينظر: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن – حنفي أحمد (١٢٧).

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٥٥٣).

مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾(١).

– **جعل الليل لباسا والنهار معاشا:** وهذا لون من ألوان التسخير فهما ليستا مجرد ظاهرتين طبيعيتين مكررتين لكنهما مخلوقتان من مخلوقاته (ﷻ) يسيران ويتحركان بإرادة خالقهما لخدمة الأحياء ومن ذلك جعل النهار للمعاش والعمل، والليل للنوم والراحة قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾**(٢).

– **علاقة الليل والنهار باستمرار حياة النبات:**

فلا شك أن لتعاقب الليل والنهار واختلافهما تأثير مباشر على استمرار حياة النبات واختلاف أنواعهحسب اختلاف الحرارة والبرودة، ووجود أنواع معينة من النبات في مناطق معينة من الكرة الأرضية.

فالليل والنهار علاقة وثيقة بالنبات، وذلك بسبب ارتباط النبات بالضوء، والنور والظلام، والحرارةوالشمس وهذه الأمور هي التي تمثل الليل والنهار ونلاحظ كيف ربط القرآن الكريم بين كل هذه العوامل في آية واحدة وهذا من دلالة قدرة الله (ﷻ) وعظمته في صنعه.

المسألة الرابعة: نعمة تسخير الشمس والقمر:

المتتبع لآيات القرآن الكريم يلاحظ دائما تقديم الشمس على القمر في الذكر وذلك لأن الشمس هي الأصل، فهي لها تاريخ طويل في قصص الشعوب، فطالما اتخذها الإنسان إلهاً يعبده، ويسجد له قال تعالى: ﴿**وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ**

(١) سورة الإسراء: الآية (١٢).

(٢) سورة يونس: الآية (٦٧).

السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[1] فبقيت الشمس قرونا طويلة رمزاً للإله عند كثير من البشر، فعندما نزل القرآن الكريم تحدث عن الشمس وأنها مخلوق من مخلوقات الله الدالة على عظمته (ﷻ) في خلقه.[2]

فالشمس نجم متوسط الحجم، مضيئة بذاتها، وهي أعظم النجوم المرئية وهي كتلة هائلة ملتهبة من الغازات شديدة الحرارة، تنبعث منه الحرارة والضوء على الأرض وغيرها من الكواكب المحيطة بها، وتدور حول محورها دورة كاملة في ٢٥ يوميا، بينما تطول هذه المدة في المناطق شمال وجنوب خط الاستواء، حتى تصل إلى ٣٧ يوما عند القطبين، فهى تدور في هده الحالة وكأنها تفتل فتلا، وطريقة دورانها يسمى الدوران التفاضلي، وتبعد الشمس عن الأرض حوالي ٩٣ مليون ميل، لهذا فإن ضوئها يستغرق ٨ دقائق و١٨ ثانية ليصل إلى الأرض.[3]

أما القمر: فهو جسم معتم لا يصدر الضوء بل يستمد ضوءه من الشمس، وهو جسم تابع للأرض في حركتها، يدور على محوره مرة واحدة في فترة تستغرق نفس فترة دورانه حول الأرض، أي مرة واحدة كل شهر، كما أنه يحوي قلباً صغيرا من الحديد والكبريت تحيط به طبقة الغلاف المانع من الصخور المنصهرة جزئيا وفوق هذه الطبقة الغلاف الصخرى الجامد، تغطيها

---

(١) سورة النمل: الآيتان (٢٤-٢٥).

(٢) ينظر "بتصرف "آيات الله في خلق الكون، د/ماهر الصوفي، الناشر: مكتبة الإيمان – المنصورة (٤٨٥).

(٣) ينظر"بتصرف": المنظومة الشمسية د/على موسى، د/مخلص الريس، الناشر: دار دمشق (٣٤٢)، آيات الله الكونية د/محمد سالم (٢٠١) معجم ألفاظ القرآن الكريم (٣١/٢).

قشرة من الصخور الغنية والألمونيوم والكالسيوم، ولا يوجد حياة على سطح القمر لخلوه من الماء والهواء الضروريين للحياة.(١)

والمتأمل في سورة النحل يجد أن الشمس والقمر ذكرا في آية واحدة في السورة الكريمة قال تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾(٢).

فيذكر الله (ﷻ) آية من آيات خلقة وإبداعه في خلق الشمس والقمر وتذليلهما وعلاقتهما باستمرار الحياة على كوكب الأرض، فتتحرك الشمس مع القمر في فلكها بدقة ونظام وبمقدار لا يزيد ولا ينقص، وما يترتب على ذلك من معرفة أوقات الأزمنة والشهور والسنين، ومعرفة أوقات الزراعة، كل ذلك لا يتم من تلقاء نفسه بل بتدبير الله وحده لا شريك له.(٣)

وذكر القرآن الكريم نعم كثيرة مترتبة على وجود الشمس والقمر منها:

الاستفادة من ضوء الشمس وحرارتها ونور القمر:

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا**"(٤).

فالآية الكريمة أثبتت حقيقة علمية لم يتوصل إليها العلم إلا حديثا أن لضوء الشمس نور ذاتي ينبعث من جسم ناري مشع فيه حرارة متوقدة، وهذا الضوء هو أكبر مصدر حرارة في الأرض قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا**﴾(٥) فالضياء ما كان بالذات، والنور ما كان بالعرض، لذا قيل أن نور القمر مستفاد

---

(١) ينظر"بتصرف": السماء في القرآن ن، للدكتور زغلول النجار (٥١٥)، الإنسان والقمر، محمد حسن (١٤٣).

(٢) سورة النحل: الآية (١٢).

(٣) ينظر "بتصرف": تفسير الخازن (٨٢/٤)، تفسير الطبري (٦٠/١٤).

(٤) سورة يونس: جزء من الآية (٥).

(٥) سورة النبأ: الآية (١٣).

من ضوء الشمس، والضوء يحمل الحرارة مع النور، بعكس النور لا حرارة فيه، وأن الضوء متوهج، والنور لطيف، وحرارة الشمس شديدة، لكن من رحمة الله بعباده جعل مقدار ما يصلإلى الأرض من هذه الحرارة ملائم لاستمرار الحياة على الأرض.(١)

تحديد الزمن: وهو: معرفة عدد الأيام من الشهور والسنين:

بسبب دوران الأرض حول محورها، وبسبحها في مدارها حول الشمس، فيتحدد الفصول الأربعة، وتتحدد الأوقات(٢) وكذلك القمر فهو عامل مساعد في معرفة السنيين والحساب فبانتقاله في منازله نشأ عنه معرفة أجزاء السنة، كما أن انتقال القمر كل يوم من مرحلة لأخرى، واتخاذه أشكالا مختلفة، نشأ عنه معرفة أجزاء الشهر القمري وبالتالي معرفة عدد أيام السنة القمرية، وضبط الزمن وحسابه، وتقديره وشهوره وسنينه(٣) قال تعالى: ﴿**الشمس والقمر بحسبان**﴾ أي يجريان متعاقبين بحساب متقن لا يختلف ولا يضطرب(٤).

فالشمس والقمر يدوران في فلكهما بحساب مقدر، ولم يتوصل العلم إلى هذه الحقيقة إلا في العصر الحديث، حيث كان من المعتقد أن الشمس ثابتة لا تدور ولا تتحرك، بينما أكد القرآن الكريم أن الشمس تتحرك وتدور في فلكها في اتجاه مخصوص وبسرعة مخصوصة(٥).

---

(١) ينظر "بتصرف "فتح القدير للشوكاني (٤٢٥/٢)، تفسير الطبري (٤/٣٠)، العلم يدعو إلى الإيمان، لكريس موريسون، ترجمة محمود الفلكي، الناشر مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٦٥(٥٥).

(٢) ينظر "بتصرف": آيات الله في السماء، دزغلول النجار، الناشر: دارة المعرفة – بيروت –الطبعة الخامسة ١٤٣١هـ –٢٠١٠م (٤٢٣).

(٣) ينظر "بتصرف ": القرآن والعلم الحديث لعبد الرازق النوفل (٧٩).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٨٨/٤).

(٥) ينظر: الإسلام في عصر العلم، محمد أحمد الغمراوي –احمد الكرداني، الناشر: دار الكتب الحديثة (٢٦٦).

قال تعالى: ﴿**لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾(١).

وبمنازل القمر يحدد بداية الشهور ونهايتها قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾(٢) وقال (ﷺ) "«صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ»(٣).

وكذلك يستدل على مقادير الأوقات، وتحديد مواعيد الآذان والصلاة والتي يعتمد بشكل كبير في معرفتها على أحوال الشمس وحركاتها قال تعالى: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**﴾(٤) فتبين الآية أن أداء الصلاة في أوقات معينة محددة عن طريق حركة الشمس، ودلوك الشمس: بمعنى زوالها من كبد السماء(٥).

-الاستفادة من الطاقة الشمسية في نزول المطر وإنبات النبات:

تعتبر الحرارة الناتجة من الشمس مصدرا رئيسيا في عملية التبخر، وصعود بخار الماء إلى أعلى ليتكاثف وينزل على صورة أمطار بإذن الله تعالى(٦).

تعتبر الحرارة من العناصر المناخية الرئيسية للأحياء على سطح الأرض، ولقد ثبت علميا من إحتواء أشعة الشمس على فيتامين د بكمية كبيرة، وهو يحمي من الإصابة بالكساح==

(١) سورة يس: الآية (٤٠).

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية (١٨٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الصوم، باب: قَوْلِ النَّبِيِّ (ﷺ): «إِذَا رَأَيْتُمُ الهِلاَلَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا» (٣/٢٧ /ح: ١٩٠٩).

(٤) سورة الإسراء: الآية (٧٨).

(٥) ينظر: المعجم الوسيط (٢٩٣/١)، تفسير الرازي (٢٦/٢١).

(٦) ينظر "بتصرف": القرآن والعلم، د. محمد جمال الدين الفندى (١٨٦).

== "لين العظام"[1].

وكذلك أشعة الشمس مصدر الطاقة للنباتات، ولكل نوع من أنواع النباتات درجة حرارة معينة وملائمة لنموه تختلف من منطقة إلى أخرى وعلى حسب نوع النبات وتنتقل درجة الحرارة إلى التربة والهواء، فتنتقل إلى أنسجة الورقة، وتعمل هذه الحرارة على توفير الطاقة الحرارية اللازمة لتبخير الماء من النبات قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا**﴾[2][3].

وكذلك الأشعة الحرارية الناتجة من الشمس لها أهمية كبيرة في عملية التمثيل الضوئي للنبات لصنع غذائها، وذلك عن طريق التفاعلات الكيماوية بين أشعة الشمس وأوراق النباتات[4].

الاستفادة من ارتباط الشمس بالظل: من النعم المترتبة على وجود أشعة الشمس وجود الظل وأشارالله تعالى إلى ذلك في سورة النحل في قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ**﴾[5].

---

(١) ينظر "بتصرف": موسوعة الثقافة العلمية، د. أنور محمد عبد الواحد، الناشر: دار الكتاب الجديد القاهرة ١٩٧٦م (٢٦٩)، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري المتوفي سنة ١٣٥٨هـ، االناشر: دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٥٠هـ (٧٢/٦).

(٢) سورة النبأ: الآيات (١٣-١٥).

(٣) ينظر "بتصرف": أسس الجغرافيا المناخية والنباتية، على البنا، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، الطبعة ١٩٧٠م (٢٥٣-٢٦٠).

(٤) ينظر "بتصرف": الاسلام والنظر في آيات الله الكونية، د. محمود عبدالله الشرقاوي – سلسلة دعوة الحق – رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة – السنة الخامسة – العدد ٤٧ صفر ١٤٠٦هـ (١٥١).

(٥) سورة النحل: الآية (٤٨).

فبين الله تعالى في الآية الكريمة كمال قدرته، وعظمته، وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها فأخبر أن كل ماله ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال فإنه ساجد بظله لله تعالى، والتفيؤ: الرجوع[١]، والظلال: جمع ظل وهو ما انصرفت إليه الشمس، أي لكل موقع لم تصل إليه الشمس[٢]، واليمين: المقصود به أول النهار، والشمال: آخر النهار[٣] وفي ذلك دلالة على أن الظل تابع للشمس في حركته، سواء كان أول النهار أو آخره، فالشمس من عند طلوعها إلى وقت انتهائها إلى وسط الفلك تقع الظلال إلى الجانب الغربي، عندما تكون في المكان مابين وسط الفلك إلى الجانب الغربي يكون الظلال في الجانب الشرقي.[٤]

كما أن الظل يتبع الشمس في مدى ما تبلغ إليه من علو وهبوط، فإذا ارتفعت قصر، وإذا انحطت طال، وإن كان متعاكسين كل منهما يسير في اتجاه مغاير للآخر[٥].

يتسبب القمر في حدوث عمليتي المد والجزر:

المد والجزر قوتان من قوى الأرض تعملان على تفتيت صخور الشواطئ، وتكوين أنواع عديدة من الصخور الرسوبية المليئة بالمعادن، والقمر هو المسؤل عن تلك الظاهرة والسبب في ذلك جذب القمر للأرض.والمد هو: تقدم مياه البحار لبضعة أمتار، ثم ينخفض بضعة أمتار أخرى وهو الجزر، ويحدث ذلك مرتين في اليوم، وحينما يبلغ القمر هيئة البدر يزداد تأثيره، ويصبح المد

(١) ينظر: تفسير الألوسي (١٥٤/١٤).

(٢) ينظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥٣٧/٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٧٨/١٤).

(٤) ينظر"بتصرف": تفسير الرازي (٤٢/٢٠).

(٥) ينظر"بتصرف": تفسير الآيات الكونية، د. عبد الله شحاته (١٨٥).

والجزر أكبر من المعتاد.[١] ويعملان على تطهير الشواطئ من الفضلات والمخلفات، وتستغل في عملية توليد الكهرباء، وفي صيد الأسماك وغيرها [٢]فلو زاد اقتراب القمر من الأرض أكثر مما هو حاصل لزادت الجاذبية، ولطغى الماء وقت المد وأغرق كل ما على سطح الأرض.[٣]

سادسا: من لطائف التفسير:

بإعادة النظر في هذه الآيات الكريمة، تتكشف لنا وجوه بديعة من وجوه الجمال والجلال والإبداع في نظمها ونسقها من ذلك:

أولاً: تأخير المفعول الصريح في قوله (ﷻ): ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾ ليتطلع الذهن إليه، فيتمكن عند وروده أتم تمكن، ويرسخ فيه كل الرسوخ مع ملاحظة ابتداء الآية بقوله" هُوَ الَّذِي"هكذا بضميره تعالى ثم بجملة الصلة التي تعطي فخامة في التعبير وروعة، تتفق مع السياق[٤].

ثانياً: ثم هذا التقسيم المعبر الهادف في قوله (ﷻ): ﴿**لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ..**﴾

لأن المقام مقام تعداد لنعم الله على خلقه، وبيان لطرف من فضل الله تعالى على عباده[٥].

---

(١) ينظر "بتصرف": أعماق الكون لسعد شعبان، الناشر: دار الكتب المصرية (٤٧)، الإنسان والقمر، لمحمد محسن (٢٨٧).

(٢) ينظر "بتصرف": الانسان في الكون بين القرآن والعلم (١٩٨).

(٣) ينظر "بتصرف": المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم، د. عبد العليم خضر (١٦٢).

(٤) ينظر: تفسير الألوسي (٣٤٨/٧).

(٥) ينظر "بتصرف ": تفسير ابن كثير (٥٦١/٤).

ثالثاً: آثر التعبير بقوله "**ومن كل الثمرات**"ولم يقل وكل الثمرات لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة ففي التعبير الدقة الملحوظة.

رابعاً: التعبير بالفعل المضارع في قوله "ينبت" للدلالة على التجدد والاستمرار، وإشارة إلى أن الإنبات سنته (ﷻ) الجارية على مر الدهور أو لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة(١).

خامساً: في تقديم الزرع على ما عداه لأنه أصل الأغذية وعمود المعاش وقوت أكثر العالم وفيه أيضا مناسبة للكلأ للمرعى، ثم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث أنه أدام من وجه وفاكهة من وجه ثم النخيل قدمها على الأعناب لظهور دوامها بالنسبة إليها، فقدم الأهم وما هو أصل الأغذية وقوت أكثر أهل الأرض، ثم اتبعه بذكر الزيتون والنخيل والأعناب وغيرها من الثمرات بشكل مجمل لأنه مما يتفكه به والأصل يقدم، وفي جمع النخيل والأعناب إشارة إلى أن ثمارها مختلفة الأصناف.ثم قال ومن كل الثمرات لينبه على عظيم قدرته (ﷻ) وجزيل نعمته على عباده وفي ذكر كل ذلك علامة دالة قدرته (ﷻ) ووحدانيته(٢).

سادساً: قدم الزيتون على أنواع الثمار لأن الزيتون غذاء، فهو إدام لكثرة ما فيه من الدهن، كما أنه نوع من أنواع الفواكة، ويكتشف العلماء في العصر الحديث فوائد أخرى للزيتون، ويجمعون على أنه غذاء جيد لحتوائه على نسبة كبيرة من البروتين والأملاح والفيتامينات، ودخوله في صناعة الأدوية.(٣)

---

(١) ينظر بتصرف: تفسير أبي السعود، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (١٠١/٥).

(٢) تفسير الخازن (٨٢/٤).

(٣) تفسير الرازي (٢٤٠/١٩)، ظواهر جغرافية في ضوء القرآن (٢٧٢).

سابعاً: الحكمة من تقديم النخيل والأعناب على غيرها من الثمرات: قدم النخيل لأنه من الأشجار التي ينتفع بها الإنسان من أول بدء ثمارها إلى نهايتها وبعد قطفها بالإفادة من خواصها وجريدها، فمن حيث كونها غذاء فثمرة النخيل أهم مصدر نباتي عند العرب، لا سيما وأنها دائمة الخضرة، وذات عمر طويل ويتضح ذلك من تشبيه الرسول لها بالرجل المسلم **عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ» قَالَ: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»**[1].

فهي تحتوي على نسبة عالية من الكربوهيدرات والدهون والأملاح، لذا كان أغلب طعام رسول الله التمر، يؤكد ذلك قوله (ﷺ): "عن عائشة، قالت: قال رسول الله (ﷺ) «**يا عائشة، بيت لا تمر فيه جياع أهله، يا عائشة، بيت لا تمر فيه جياع أهله**»[2] ولا تقل أهمية الأعناب عن النخيل وقد ذكرت بعدها فهي من الأشجار التي ينتفع بها من أول بدء ثمارها إلى نهايتها وبعد قطفها.[3]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ طَرْحِ الإِمَامِ المَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ (١/٢٢/ح٦٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب: الأشربة، باب: في ادخار التمر ونحوه من الأقوات للعيال (٣/١٦١٨ح /٢٠٤٦).

(٣) معجزة القرآن، لنعمت صدقي، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م (٦٩).

ثامناً: ختم الله (ﷻ) هذه الآية بقولة. ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ لأن النظر في ذلك يعني إنبات النبات بالماء يحتاج إلى مزيد تأمل واستعمال فكر لاشتماله على أمر خفي.

قال الكرخي: فيما نقله العلامة الجمل: ألا ترى أن الحبة الواحدة إذا وضعت في الأرض، ومر عليها مقدار من الزمان مع رطوبة الأرض فإنها تتفتح، وينشق أعلاها، فيصعد منه شجر إلى الهواء وأسفلها تغوص منه عروق في الأرض، ثم ينمو لأعلى ويقوى، وتخرج منه الأوراق والأزهار، والأكمام والثمار المشتملة على أجسام مختلفة الطباع و الطعوم والروائح والأشكال والمنافع، ومن تفكر في ذلك علم أن من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن أن يشبهه شيء من صفات الكمال.(١)

وتنكير آية للتعظيم أي آية عظيمة هائلة ويتفكرون بالمضارع إشارة إلى عدم ترك التفكير.

تاسعاً: في قوله (ﷻ): ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾، حيث ذكر الآيات لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة، وأبين شهادة للكبرياء والعظمة، وجمعها ليطابق قوله مسخرات، أو أن كلا من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم آية في نفسها، بخلاف ما تقدم من الآيات فإنه آية واحدة.

عاشراً: وعلقت هذه الآيات بمجرد العقل، من غير تأمل وتفكر كأنها لمزيد ظهورها، مدركة ببداهة العقل، من غير تأمل وتفكر كأنها لمزيد ظهورها، مدركة ببداهة العقل بخلاف الآثار السفلية أو المراد لقوم يعقلون ذلك والمشار إليه نهاية تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا

(١) حاشية الجمل (٥٦٢/٢).

يتصدى لمعرفتها إلا المهرة الذين لهم نهاية الإدراك من أساطين علماء الحكمة(١).

الحادي عشر: "إن في ذلك لآية لقوم يذكرون" التنوين في آية للتفخيم.

وقال صاحب البصائر: وخصّ بالذِّكر لاتِّصاله بقوله: ﴿**وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ**﴾؛ فإن اختلاف ألوان الشيء وتغيّر أحواله يدلّ على صانع حكيم لا يشبهها ولا تشبهه، فمن تأمل فيها اذَّكَّر(٢).

سابعاً: ما ترشد إليه الآيات:

أولاً: الله (ﷻ) صاحب الفضل في إنزال الماء من السماء بخلقه هذا الكون على نسق محدد، وإيداعه لقوانين محكمة تعمل كلها لصالح الإنسان وخيره، ومن رحمته (ﷻ) أن يسر عملية الحصول على الكلأ حيث أخرج النبات والعلف بلا تسميد ولا حرث للأرض، والأعجب من ذلك كله أن هذه الحشائش على الرغم من ضعف بنيتها أوجد الله فيها قدرة وقوة تتكيف بها مع الجو، وتتحمل بها الحر والبرد، وفي بذورها قوة الإنبات(٣).

ثانياً: أهل الفكر الحاضر والعقل المستقيم هم الذين يوقفون أن وراء الحكمة حكيم، وأن للكون خالقا مدبراً بديعاً عظيماً.

ثالثاً: هذه المخلوقات التي تعمل بلا كلل أو ملل، إنما هي مسخرة لمنفعة الإنسان، بتدبير الله الحكيم، وبأمره ومشيئته وليس شيئ في الكون يعمل مصادفة، أو أن الطبيعة قد خلقت نفسها كما يدعي من لا عقل لهم.

---

(١) روح المعاني (١٤/١١٠).

(٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز (١/١٩٧).

(٣) ينظر "بتصرف ": تفسير ابن كثير (٤/٥٦١).

رابعاً: أن الله الذي خلق الإنسان، فقد أودع هذه الأرض من الخير الوفير، والكنوز الهائلة مالا يعلمه إلا الله، وهذا رزق بالأسباب، ليظهره الله حيث يشاء وحين يريد، بعد أن يأخذ الإنسان بالأسباب التي أمره الله بها وأودعها كونه(١).

خامساً: يمتن الله تعالى على عباده بخلق الليل والنهار، فالنهار نعمة من نعم الله علينا، وظاهرة ضوئية تنشأ من سلوك الضوء نفسه الذي أودع الله تعالى فيه خواص عجيبة، فالضوء لا يرى بذاته ولكننا نراه بالانعكاس والتشتت على المرئيات، بينما تنعدم الرؤية عند تجاوز الغلاف الجوي، فالسماء ظلام دامس رغم وجود الشمس قال تعالى: ﴿**أأنتم أشد**﴾، فجعل الله الليل للراحة والسكون والهدوء والقرار، وجعله الأصل باعتبار أن الله يسلخ النهار من الليل، وجعل الله النهار للإبصار والحركة والعمل(٢).

سادساً: أودع الله تعالى في الشمس ما تقوم به حياة الناس وحياة المخلوقات من حيوان ونبات، وكذلك القمر فيه من مصالح الناس أنهم يميزون به عدد الأشهر والسنين وبه يقوم حساب العالم، فبالشمس تعرف الأيام ويسير القمر في منازله فتعرف الشهور والأعوام، ولو كان الزمن نسقا متساويا سرمدا لما عرف شيء من ذلك"(٣) ولهذا عدد الله تعالى على الإنسان بعض نعمهما وفوائدهما وذكرهما الله في ثلاثة وثلاثين موضعا في القرآن.

---

(١) ينظر "بتصرف ": تفسير الرازي (١٧٩/١٩)

(٢) ينظر "بتصرف ": المرجع السابق (١٨٦/٢٠)

(٣) العظمة، لعبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري (١٠٥٣/٣).

سابعاً: استدل الله تعالى على عظمة الخلق بالنجوم وضخامتها وتباعد مسافاتها الشاسعة وقارنها بذلك الإنسان الضعيف ذي العقل الكبير، لكي يتفكر في الخالق وسلطانه المطلق في الكون، لهذا ختم الله هذه الآية الكريمة بقوله ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾[1].

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت (٢١٣/١).

المطلب الثالث
تسخير البحر

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

أولا: علاقة الآيات بما قبلها:

شروع في نوع آخر من النعم متعلق بالبحر، إثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر، فذكر (ﷻ) امتنانه على عبادة بتسخير البحر، بإمكان الركوب عليه واستخراج ما فيه من صيد وجواهر، لكونه من جملة النعم التي أنعم الله بها على عباده، وقد جمع الله (ﷻ) لعباده في هذا المقام بين التذكير لهم بآياته الأرضية والسماوية والبحرية فأرشدهم إلى النظر والاستدلال بالآيات، إتمام للحجة عليهم، وتكميل للإنذار، وتوضيح لمنازع الاستدلال، ومواضع النظر والاعتبار.[2]

ثانيا: معاني المفردات:

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾: ﴿سَخَّرَ﴾: السين والخاء والراء أصل سَخَّره: أي ذلله وسهله.[3]

---

(١) فتح القدير لشوكاني (٣/١٨٢).

(٢) ينظر: تفسير الألوسي (٧/٣٥٤)، فتح القدير لشوكاني (٣/١٨٤).

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٥/٣٠٢٥)، المصباح المنير (١/٢٦٩).

والتسخير: سياقه إلى الغرض المختص قهراً، والمسخر هو المقيض للفعل.(١)

الْبَحْر: الباء والحاء والراء أصل واحد، وهو خلاف البر، يقال سمي بحرا لعمقه واتساعه وانبساطه، والجمع أبحر وبحار وبحور(٢).

وقيل: هو الماء الكثير ملحا كان أو عذبا، وقيل: كل نهر لا ينقطع ماؤه فهو بحر، والمعنى جعل لكم ذلك بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص ولاصطياد.(٣)

وذكر لفظ البحر مرة واحدة في سورة النحل في هذا الموضع.

﴿**لَحْمًا طَرِيًّا**﴾: هو السمك والطراوة ضد اليبوسة، والطري فعيل من طر ويطرو طراوة وقال الفراء: من طرى يطري طراء وطراوة، ووصفه بذلك للإشعار بلطا فته، والتنبيه إلى أنه ينبغي المسارعة إلى أكله فإنه لكونه رطبا مستعدا للتغير فيسرع إليه الفساد(٤).

﴿**حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**﴾: أي لؤلؤا ومرجانا كما في قوله (ﷻ): ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾ وظاهر قوله تلبسونها أنه يجوز للرجال أن يلبسوا اللؤلؤ والمرجان، أي يجعلوا منه حلية لهم كما يجوز للنساء، فليس في الشريعة المطهرة ما يقتضي منع الرجال من التحلي باللؤلؤ والمرجان، ما لم يستعمله على صفة لا يستعمله عليها إلا النساء خاصة، فإن ذلك ممنوع من جهة كونه تشبها بهن.(٥)

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٢٧٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢٠١/١-٢٠٣)، الصحاح (٥٨٥/٢).

(٣) لسان العرب (٢٣٧/٥).

(٤) ينظر بتصرف " تفسير الألوسي (١١١/١٤)، تفسير الخازن (٨٣/٤).

(٥) ينظر: فتح القدير للشوكاني (١٨٤/٣).

﴿**وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ**﴾: هي السفن تمخر الماء أي: تشقه أي ترى السفن شواقة للماء تدفعه بصدرها ومخر السفينة شقها الماء بصدرها، قال الجوهري: مخر السباح إذا شق الماء بصدره، ومخر الأرض شقها للزراعة، وقيل مواخر: جواري، وقيل معترضة، وقيل تذهب وتجيء لكن الأول هو الأولى، لأنها تشمل كل هذه الأقوال ولمناسبة ذلك لمقام الامتنان.(١)

﴿**وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**﴾: أي تجارة البر والبحر.

﴿**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾: أي: لتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم، إذ سخر لكم ما سخر من هذه الأشياء التي عددها في هذه الآية.(٢)

﴿**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ**﴾: أي: جعل وخلق.(٣)

﴿**رَوَاسِيَ**﴾: **جمع راسية وهي:** الثوابت في الأرض من الجبال.

﴿**أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**﴾: أي كراهة أن تميد بكم على ما قاله البصريون، أو لئلا تميد بكم على ما قاله الكوفيون، **والميد:** الاضطراب يميناً وشمالاً، ماد الشيء يميد ميدا تحرك، ومادت الأغصان تمايلت، وماد الرجل تبختر.(٤)

﴿**وَأَنْهَارًا**﴾: النون والهاء والراء أصل صحيح يدل على تفتح شيء أو فتحه، وسمي النهر لأنه ينهر الأرض أي: يشقها وجمع النهر أنهار ونهر(٥).

﴿**سُبُلًا**﴾: **أي:** طرقاً مختلفة يسلكها العباد في أسفارهم، والتردد في حوائجهم من بلد لآخر فيهتدون بتلك السبل إلى ما يريدون فلا يضلون.(٦)

---

(١) ينظر بتصرف تفسير الطبري (٧٦١/١٤)، تفسير القرطبي (١٩٤/٢).

(٢) المصدر السابق: (٦٢/١٤)، تفسير الخازن (٨٣/٤).

(٣) ينظر: فتح القدير لشوكاني (٣/١٨٤).

(٤) ينظر: المرجع السابق (١٥٤/٣).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٣٦٢/٥)، الصحاح (٨٤٠/٢).

(٦) تفسير الخازن (٨٣/٤).

﴿**وَعَلَامَاتٍ**﴾: أي وجعل فيها علامات، وهي معالم الطرق، والمعنى: أنه (ﷻ) جعل للطرق علامات يهتدون بها وقيل العلامات الجبال، وقيل هي النجوم لأن النجوم ما يهتدي به ومنها ما يكون علامات لا يهتدي بها، وذهب الجمهور إلى أن المراد في الآية الاهتداء في الأسفار، وقيل الاهتداء إلى القبلة، ولا مانع من حمل ما في الآية على ما هو أعم من ذلك.

﴿**وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾: والمراد بالنجم الجنس فيشمل كل نجم يهتدى به.

﴿**فَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾: أي ألا تلاحظون فلا تتذكرون؟

﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا**﴾: **العد:** ضم الأعداد بعضها إلى بعض.(١)

﴿**نِعْمَةَ**﴾: **النعمة:** الحالة الحسنة، والنعمة بفتح النون المشددة التنعم، والنعمة بكسر النون المشددة للجنس تقال للقليل والكثير، والنعيم: النعمة الكثيرة.(٢)

﴿**تُحْصُوهَا**﴾: **الإحصاء:** التحصيل بالعدد، يقال أحصيت كذا وذلك من لفظ الحصا، ومعنى لا تحصوها: لا تطيقوا حصرها ولو إجمالا فإنها غير متناهية، وأصل الإحصاء العد بالحصى، فإن العرب كانوا يعتمدونه في العد.(٣)

﴿**الغفران**﴾ **والمغفرة:** من الله أن يصون العبد من أن يمسه العذاب.

﴿**لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: **الغفور الرحيم:** كثير المغفرة والرحمة لا يؤاخذكم بالغفلة عن شكر نعمه، والقصور عن إحصائها، والعجز عن القيام بأدناها، ومن رحمته إدامتها عليكم وإدرارها في كل لحظة وعند كل نفس تتنفسونه.(٤)

---

(١) ينظر: المفردات (٣٢٤).

(٢) المرجع السابق (٤٩٩).

(٣) روح المعاني (٢٢٦/١٣).

(٤) ينظر: فتح القدير للشوكاني (١٥٤/٣).

ثالثا: المباحث العربية:

﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ**﴾: جملة معطوفة على قوله ﴿**وهو الذي أنزل من السماء ماء**﴾ فلذا جاء على أسلوبه جملة اسمية معرفة الجزئيين، وما وقع بينهما، إما مترتب على ذلك الماء النازل، وإما متضمن لمصلحة ما يترتب عليه.

﴿**لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا**﴾: متعلق بتأكلوا، أو حال مما بعده وهي ابتدائية ويجوز أن تكون تبعيضية والكلام على حذف مضاف أي من حيوانه حينئذ يجوز أن يراد من اللحم الطري لحم السمك كما يجوز أن يراد منه السمك، والجملة وما بعدها بيان لعلة هذا التسخير ومظاهره وأشكاله.

﴿**طَرِيًّا**﴾: صفة للحم. ولتبتغوا من فضله: معطوف على تستخرجوا وما بينهما اعتراض أو معطوف على علة محذوفة تقديره لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا أو على تقدير فعل ذلك لتبتغوا أي لتتجروا فيه فيحصل لكم الربح من فضل الله (ﷻ).[1]

﴿**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**﴾: أي جعل في الأرض جبالا ثوابت حتى لا تتحرك وتميد وتضرب بكم، في قوله: ﴿**أن تميد بكم**﴾ إلا أنه حذف المضاف، وقال الكوفيون: حرف النهي هنا هو المحذوف، وتقديره: لئلا تميد بكم.

﴿**وَأَنْهَارًا**﴾: عطف على رواسي والعامل فيه ألقى إلا أن تسلطه عليه باعتبار ما فيه من معنى الجعل والخلق أو تضمينه إياه أو يكون مفعولا به لفعل مضمر أي وجعل أو خلقه أنهار.

﴿**وسبلا**﴾: عطف على أنهار أي وجعل طرقا لمقاصدكم.

---

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني (١٥٤/٣).

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لها فالتعليل بالنظر على قوله تعالى: ﴿وسبلا﴾ كما هو الظاهر، ويمكن أن يكون تعليلا بالنظر إلى جميع ما تقدم، وقيل كل هذه الآثار العظام تدل على وجود فاعل حكيم.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾: استفهام المراد منه تبكيت للكفرة وإبطال إشراكهم وعبادتهم غيره تعالى.

والتعبير بمن: تغليبا لذوي العلم على غيرهم مع ما فيه من المشاكلة.

رابعا: معاني الآيات الكريمة:

بين الله تعالى في هذه الآيات الكريمات نعم امتن بها على عباده، نعمة البحر التي تلبي احتياجات الإنسان فمن البحر يأكل اللحم الطري من السمك وغيره، ثم هو يتمتع بما فيه من لؤلؤ ومرجان وأصداف وقواقع تستخدم في اللباس والحلي، بل ويتعيشون منها ومن الاتجار فيها، ثم يلفت الله تعالى أنظارنا إلى الفلك التي تشق الماء في مناظر بهيجة تسر الناظرين للاستمتاع بهذا الإبداع الكوني، ثم توجهنا الآيات إلى ابتغاء فضل الله ورزقه ثم إلى شكره على ما سخر لنا من الطعام والزينة والجمال في ذلك الملح الأجاج، ثم ينتقل بنا السياق إلى نعمة أخرى، بها استقرت الأرض بمن عليها بالجبال الرواسي، ثم يوجه الأنظار إلى الأنهار الجواري، والسبل السوالك، والأنهار ذات علاقة طبيعية في المشهد بالجبال، ففي الغالب تكون منابع الأنهار في الجبال حيث مساقط الأمطار، والسبل ذات علاقة بالجبال والأنهار وذات علاقة كذلك بجو الأنعام والأحمال والانتقال، وإلى جوار ذلك معالم الطرق التي يهتدي بها السالكون في الأرض من جبال ومرتفعات ومنفرجات وفي السماء من النجم الذي يهدي السالكين في البر والبحر سواء.

ثم يتوجه الله بهذا التساؤل لعل الإنسان يتفكر ويتدبر ويعقل: أفمن يخلق كم لا يخلق أفلا تعقلون؟وهو تعقيب يأتي في أوانه بعد تعداد جانب قليل من نعم الله

على خلقه، أفمن يخلق كم لا يخلق؟وهل هناك إلا جواب واحد: لا وكلا أفيجوز أن يسوي إنسان في حسه وتقديره بين من يخلق ذلك الخلق كله، ومن لا يخلق لا كبيرا ولا صغيرا ؟أن الأمر لا يحتاج إلى أكثر من التذكر ليتضح الأمر ويظهر اليقين.

ثم بعد أن استعرض الحق (ﷻ) ألوانا من النعم عقب عليها بقوله: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، فضلا عن أن تشكروها، وأكثر النعم لا يدري بها الإنسان لأنه لا يألفها فلا يشعر بها إلا حين يفتقدها.(١)

اشتملت الآيات الكريمة على عدة مسائل:

المسألة الأولى: تسخير البحار:

البحر: الماء الكثير، ملحاً كان أو عذباً، وهو خلاف البر، سمي بذلك لعمقه واتساعه، وقد غلب على الملح حتى قل في العذب(٢).

ومن مرادفات البحر في اللغة: اليم: قال تعالى: ﴿**فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾(٣) أي: كان عذابهم الإغراق في اليم وهو البحر(٤).

النهر العظيم: قال الزجاج: كل نهر لا ينقطع ماؤه فهو بحر قال تعالى: ﴿**أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ**﴾(٥) أي اطرحيه في البحر وهو نهر النيل(٦) ويجمع على أبحر وبحار وبحور(٧).

---

(١) ينظر"بتصرف": فتح القدير للشوكاني (١٥٤/٣)، روح المعاني (١١٧/١٤).

(٢) المفردات (٣٧).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٣٦).

(٤) تفسير الطبري (٤٢/٩).

(٥) سورة طه: جزء من الآية (٣٩).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (١٢/٣).

(٧) لسان العرب (٤١/٤)، مختار الصحاح (١٧/١).

ويأتي لفظ البحر في القرآن على أربعة أوجه[١]:

أحدها: البحر المعروف في الأرض ومنه قوله تعالى: ﴿**وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ**﴾[٢].

الثاني: الماء العذب والمالح ومنه قوله تعالى: ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**﴾[٣].

الثالث: بحر تحت العرش، ومنه قوله تعالى: ﴿**والبحر المسجور**﴾[٤].

الرابع: العامر من البلاد، ومنه قوله تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾[٥].

والمتأمل في سورة النحل يجد أن لفظ البحر ذكر مرة واحدة فيها قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٦].

بين الله تعالى في الآية الكريمة نعمة تسخير وتذليل البحر للإنسان بأشكال مختلفة بالأكل منه واستخراج ما فيه من حلية من الجواهر النفيسة مثل ألؤلؤ والمرجان وتذليله للركوب بمخر السفن للماء[٧] وأصل المخر في اللغة الشق يقال مخرت السفينة مخرا إذا شقت الماء[٨].

---

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (١٩٨/١).

(٢) سورة الخان: الآية (٢٤).

(٣) سورة الرحمن: الآية (١٩).

(٤) سورة الطور: الآية (٦).

(٥) سورة الروم: جزء من الآية (٤١).

(٦) سورة النحل: الآية (١٤).

(٧) ينظر"بتصرف": تفسير الألوسي (١١١/١٤)، تفسير الخازن (٨٣/٤).

(٨) المعجم الوسيط (١٠٣/١).

بعض مظاهر تسخير البحر والاستفادة منه:

بيان نعمة الأكل من البحار: وذلك في قوله تعالى: ﴿**لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا**﴾ والمقصود به السمك وعبر عنه باللحم الطري للإشارة إلى قلة عظامه، ولبيان عظمة الخالق (ﷻ) في استخراج السمك الطري من الماء المالح لبيان قدرة الله تعالى في إخراج الضد من الضد وبدأ (ﷻ) بذكر نعمة الأكل لأهميته لقوام البدن(١).

وتحتوي الأسماك على نسبة كبيرة من البروتين والأحماض الأمينية الهامة للإنسان وهي سهلة الهضم(٢).

حلية البحر: الحلية اسم لما يتحلى به، وسميت حلية: لأنها تحلي الجوارح في أعين الناظرين(٣) .

والمراد بها: اللؤلؤ والمرجان والدرر والجواهر وما يتحلى به مما يخرج من البحر(٤).

حمل **البحر للسفن وسيرها فيه:** قال تعالى: ﴿**وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ**﴾(٥) والفلك التي تجري في البحر: هي السفن وسميت بذلك لأنها تدور بالماء بسهولة، فتقبل مرة وتدبر مرة بريح واحدة وهي موفرة مثقلة لا ترسب تحت الماء بل تعلوا فوقه(٦) وهي من دلائل قدرة الله تعالى الدالة على وحدانيته.

---

(١) ينظر بتصرف: تفسير الخازن (٨٣/٤)، تفسير الرازي (٦/٢٠).

(٢) ينظر بتصرف: الماء والحياة بين العلم والقرآن (٩٠).

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٢٩/١٢).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٨٨/١٤)، معاني القرآن الكريم للنحاس (٤٦٦/٥)، أحكام القرآن للجصاص (٢٤٦/٥).

(٥) سورة البقرة: جزء من الآية (١٦٤).

(٦) بحر العلوم للسمرقندي (١٣٦/١)، تفسير البغوي (٦٤/٣).

ولا يحصل جريان الفلك على وجه البحر إلا بتسخير ثلاثة أشياء:

أحدها: الرياح التي تجري على وفق المراد.

ثانيها: خلق وجه الماء على الملامسة التي تجري عليها الفلك.

ثالثها: خلق الخشبة على وجه تبقى طافية على وجه الماء ولا تغوص فيه.

وهذه الأحوال لا يقدر عليها واحد من البشر، فلابد من موجد قادر عليها وهو الله (ﷻ).[١]

التجارة في البحر: قال تعالى: ﴿**ولتبتغوا من فضله**﴾ أي لتتصرفوا في طلب معايشكم بالتجارة في البحر[٢].

فيوجهنا السياق إلى الاستفادة من البحار لغرض التجارة فيحصل الربح من فضل الله (ﷻ)، فإذا وجد الإنسان فضل الله عليه فعليه شكر الله تعالى وحده مسخر البحر وما فيه لخدمة العباد.[٣]

المسألة الثانية إلقاء الرواسي في الأرض والأنهار:

من نعم الله على عباده أن ألقى في الأرض رواسي وهي جمع راسية وهي الثوابت في الأرض من الجبال وقد سبق الحديث عنها سابقا.

ومن نعم الله على عباده أن ألقى في الأرض الأنهار أي جعل وخلق والملاحظ أن أكثر الأنهار تتفجر منابعها في الجبال فلهذا السبب لما ذكر الله تعالى الجبال أتبع ذكرها بتفجير العيون والأنهار[٤].

---

(١) تفسير الألوسي (٢/٣١).

(٢) ينظر: لسان العرب (٢/٥٦٨).

(٣) ينظر "بتصرف": فتح القدير لشوكاني (٣/١٥٣).

(٤) ينظر "بتصرف": المرجع السابق (٣/١٥٣)، تفسير الرازي (٢٠/١٠).

ولقد تكونت الأنهار من امتلاء التعاريج الموجودة في سطح الأرض بمياه الأمطار فكانت رزقا للعباد فتجرى فيها الحياة، ويخرج منها الأسماك والأعشاب، وتحتوي على المياه العذبة الصالحة للشرب والزراعة(١).

المسألة الثالثة: الاهتداء بالنجوم في البر والبحر:

النجم في الأصل: اسم لكل واحد من كوب السماء، وهو بالثرايا أخص(٢)

والمتأمل في سورة النحل يجد أن النجوم ذكرت في موضعين هما:

قوله تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾(٣) وفي هذه الآية تنبيه من الله لعباده على نعمه العظيمة ومنها النجوم الثوابت والسيارة في أرجاء السموات وفي ذلك دلالة واضحة على قدرة الله (ﷻ)(٤).

وقوله تعالى: ﴿**وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾(٥) وهذه الآية تبين نعمة من النعم المترتبة على وجود النجوم وهي جعلها علامات تبين معالم الطريق ليلا(٦)

بعض النعم المترتبة على وجود النجوم:

النجوم زينة السماء الدنيا: قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**﴾(٧) فالنجوم تتجمع على هيئة وأشكال معينة هي بروج للسماء

(١) ينظر "بتصرف": تفسير الالوسي (٢٢٤/١٣)، التفسير الواضح (٣٤/١٤).
(٢) ينظر "بتصرف": تفسير الالوسي (٢٢٤/١٣).
(٣) سورة النحل: الآية (١٢).
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٦١١/٢)، فتح القدير للشوكاني (١٥٢/٣).
(٥) سورة النحل: الآية (١٦).
(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٦٣/١٤).
(٧) سورة الحجر: الآية (١٦).

وزينة لها، ومنها ما يكون ذا شكل ثابت، ومنها مايظهر خلال بعض فصول السنة ثم يختفي[١].

النجوم رجوماً للشياطين: قال تعالى: ﴿**وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ**﴾[٢].

والشهاب هو: الشعلة الساطعة من النار الموقدة وهي أجرام سماوية صغيرة تتدخل الغلاف العلوى من جو الأرض، ثم تتوهج ثم لا تلبث أن تنطفئ مخلفة ورائها سحابة رامدية تأخذ وقتا حتى تسقط على الأرض على هيئة غبار لا يعرف تركيبه إلا الله[٣] ومهمة هذه الشهب رمي الشياطين المسترقين للسمع قال تعالى: ﴿**وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا**﴾[٤].

الاهتداء بالنجوم في البر والبحر: قال تعالى: ﴿**وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾[٥] فهي علامات يهتدى بها في أوقات فصول السنة من حيث بدايتها ونهايتها، وفي معرفة موسم الفيضان والحصاد، فمنها ماتكون علامات ومنها مايهتدون بها[٦].

---

(١) ينظر "بتصرف": فتح القدير للشوكاني (١٢٥/٣)، القرآن والعلم د. جمال الدين الفندي (٢٤٢).

(٢) سورة الحجر: الآيتان (١٧ – ١٨).

(٣) ينظر"بتصرف": المنهج القرآني للدراسات الكونية في القرآن، د. عبد العليم خضر (١٨١).

(٤) سورة الجن: الآية (٩).

(٥) سورة النحل: الآية (١٦).

(٦) ينظر"بتصرف": تفسير الطبري (٦٣/١٤)، تفسير القرطبي (٩٢/١٠)، الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن (٨٣).

خامسا: من لطائف التفسير:

أولاً: في قوله (ﷻ): ﴿**لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا**﴾ التعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للإشارة إلى قلة عظامه، وضعفها في أغلب ما يصطاد للأكل بالنسبة إلى الأنعام الممتن بالأكل منها فيما سبق.

ووصفه بالطراوة. للإشعار بلطافته، والتنبيه إلى أنه ينبغي المسارعة إلى أكله قبل أن يسرع إليه الفساد والاستحالة وهذا لا ينافي تقديده وأكله مملحا ولكنه وصفه بما ذكر لأن المقام مقام امتنان، والامتنان باللحم الطري أوقع وأنسب(١).

ثانياً: في قوله (ﷻ): ﴿**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ يقول الإمام الألوسي: ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر، لأنها أقوى في باب الإنعام من حيث أنه جعل ركوب البحر مع كونه مظنة الهلاك وسببا للانتفاع وحصول المعاش وهو من كمال النعمة لقطع المسافة الطويلة في زمن قصير مع عدم الاحتياج إلى الحل والترحال والحركة مع السكون والراحة.

ثالثاً: في قوله (ﷻ): ﴿**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ عبر بألقى دون جعل أو خلق لأن ألقى أخص فالمعنى أن الله (ﷻ) قد جعل ذلك بمحض قدرته، واختراعه، وإرادته لأمن الأرض، وعداه بفي لا بعلى للإشارة إلى كمال الجبال وتمام رسوخها وثباتها في الأرض.

رابعاً: ﴿**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ**﴾ اقتصر هنا على ذكر الخلق دون غيره لكونه أعظمه وأظهره واستتباعه إياه، أو لكون كل من ذلك خلقا مخصوصا أي أبعد ظهور اختصاصه (ﷻ) بمبدئية هذه الشئون الواضحة الدالة على وحدانيته

(١) ينظر"بتصرف": تفسير الخازن (٨٣/٤).

تعالى وتفرده بالإلوهية واستحقاق العبادة بتصور المشابهة بينه وبين غيره مما هو بمعزل عن ذلك بالمرة كما هو قضية إشراككم(١).

خامساً: ومفعول يخلق يقدر عاما، لتنزيل الفعل منزلة اللازم ليشمل أي خلق وكل خلق.

سادساً: ثم هذا التذييل الحكيم للآية الكريمة ﴿**إن الله لغفور رحيم**﴾ أي لغفرانه لكم يستر ما فرط منكم من كفران النعمة والإخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك، ثم هو يرحمكم فيسبغها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون من صنوف الكفر والمعاصي.

وكل من الستر والإفاضة نعمة أيما نعمة !!

والجملة تعليل للحكم بعدم الإحصاء، وتقديم المغفرة على الرحمة، لتقديم التخلية على التحلية والله أعلم(٢).

سادسا: ما ترشد إليه الآيات:

أولاً: في تسخير البحر نعم جليلة وفوائد عظيمة منها: أكل اللحم الطري منه، والتزين بما فيها من حلي وركوب السفن وحملها للأثقال، والتجارة وغير ذلك.(٣)

ثانياً: إن كل نعمة من نعم الله علينا تستوجب شكر المنعم (ﷻ) والاعتراف له بالفضل والكرم والإحسان.

ثالثاً: للجبال فوائد عظيمة وأهمها أنها تثبت الأرض وتحفظ توازنها، فلا تميد وتضرب بمن عليها.

---

(١) ينظر: روح المعاني (١١٨/١٤).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١١٨/١٤).

(٣) ينظر"بتصرف": تفسير الرازي (٥/٢٠).

رابعاً: في التفكير في آيات الله الكونية هدى ونور، كما أن في النجم هداية، وفي الطرق علامات هداية، بها يستطيع الإنسان أن يحدد خط سيره فلا يضل في طريقه(١).

خامساً: إن من العيب الأكبر، والخطأ الفادح أن يسوي العاقل بين من له الخلق والأمر وبين من لا يستطيع أن يخلق شيئا ولو تافها أو بسيطا.

سادساً: إن عد ما في نعمة واحدة من نعم الله على الإنسان من خير ونعم وفضل وستر لأمر عسير تحقيقه مستحيل تحصيله لكن الله الغفور الرحيم بنعمه على الإنسان ويستره ويرعاه رغم كفره وضلاله وجحوده نعم الله عنده(٢).

(١) ينظر"بتصرف": تفسير الألوسي (٢٢٧/١٣).

(٢) ينظر"بتصرف": فتح القدير للشوكاني (١٥٤/٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى الحق وإلى صراط مستقيم، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

وبعد هذه السياحة العلمية الروحية مع هذا الموضوع القرآني القيم اتضحت لي بعض

النتائج أهمها:

أولاً: للحياة مع القرآن الكريم، قراءة، وتدبراً، حلاوة روحية، ومذاق طيب ولا يعرف ذلك إلا من ذاقه.

ثانياً: القرآن الكريم كتاب سماوي أنزله الحق (ﷻ) ليعرف العبد ربه فيعبده، ويتعرف على نعمه (ﷻ).

ثالثاً: نعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى، وعلى العاقل أن يشكر واهب النعم (ﷻ) حتى تدوم له النعمة وتزيد مصداقاً لقوله (ﷻ): ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾[1].

رابعاً: التذكير بالنعم من أساليب التربية النافعة وهو منهج قرآني.

خامساً: ومن ثم لا يجوز لعاقل أن يطلب الرزق إلا من الرازق ذي القوة المتين وحده (ﷻ)، فلا يذل المؤمن نفسه لمخلوق، ولا يعتمد إلا على الله واهب كل شيء.

---

(١) سورة إبراهيم: جزء من الآية (٧).

وبناء على النتائج السابقة أوصي بما يلي:

أولاً: ضرورة الإقبال من– الباحثين والباحثات في الدراسات القرآنية –على الدراسات التحليلية الدقيقة والواعية.

ثانياً: سورة النحل وغيرها من السور القرآنية، فيها حديث طيب عن نعم الله تعالى، تنتظر جهد الباحثين وتدبرهم الواعي لهذه الآيات الكريمة حتى يتضح للناس مدى عناية الله تعالى بخلقه.

ثالثاً: في حديث القرآن عن نعمه (ﷻ) على خلقه بيان لإبداع الله تعالى في كونه وحسن تقديره لكل مخلوق فيه، يحتاج إلى البحث العلمي الرصين خاصة في عصرنا الذي تفوقت فيه العلوم واتسعت فيه المعارف وبذلك نثبت أن القرآن صالح لكل زمان ومكان والله أعلم.

وبعد.. فهذه مساهمة متواضعة في خدمة كتاب الله تعالى، على قدر جهدي، وأسأل الله أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل والثبات على الإيمان، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وصلى الله على أشرف خلقه، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

- **القرآن الكريم:**

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) إعراب القرآن الكريم، لأحمد عبيد الدعاس– أحمد محمد حميدان – إسماعيل محمود القاسم، الناشر: دار المنير – دمشق.

(٣) أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٢٩م.

(٤) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ.

(٥) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

(٦) الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٧) الإسلام في عصر العلم، محمد أحمد الغمراوي –د.احمد عبد السلام

الكرداني، دار: الكتب الحديثة.

(٨) الإسلام والنظر في آيات الله الكونية، د. محمد عبد الله لشرقاوي – سلسلة دعوة الحق– رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة – السنة الخامسة – العدد ٤٧ صفر ١٤٠٦هـ.

(٩) البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، دار النشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت – ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م، الطبعة: الأولى.

(١٠) التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(١١) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠م.

(١٢) التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(١٣) التفسير التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

(١٤) التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٢٠هـ.

(١٥) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

(١٦) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

(١٧) التفسير الواضح، للدكتور/ محمد محمود حجازى، دار النشر: دار الجيل الجديد، الطبعة: الرابعة ١٩٦٨م.

(١٨) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة.

(١٩) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ.

(٢٠) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، للشيخ طنطاوي جوهري المتوفي ١٣٥٨ هجرية – دار الفكر – الطبعة الثانية ١٣٥٠هـ.

(٢١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٢٢) العظم العظمة، لعبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد، الناشر: دار العاصمة – الريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري.

(٢٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه

التأويل، للعلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٧ ــ ٥٣٨هـ) القرن: السادس، الناشر: دار الكتاب العربي ــ بيروت، سنة الطبع: ١٤٠٧هـ.

(٢٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

(٢٥) المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ــ سنة الوفاة ٤٥٨هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية.

(٢٦) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢٧) الموسوعة القرآنية، لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري المتوفي سنة ١٤١٤هـ، الناشر: مؤسسة سجل العرب ط ١٤٠٥هـ.

(٢٨) الماء والحياة بين العلم والقرآن، د.عبد العليم عبد الرحمن خضر، الدار: السعودية للنشر – جدة الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

(٢٩) القرآن والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل –دار الكتب العربية – بيروت.

(٣٠) القرآن والعلم، د.محمد جمال الدين الفندى – دار: المعرفة –القاهرة – الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

(٣١) القراءات وأثرها في علوم العربية، لمحمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة،

الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٣٢) الكنز في القراءات العشر، لأبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: د. خالد المشهداني، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٣٣) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، د.عبد العليم عبد الرحمن خضر، الناشر: الدار السعودية - جدة - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٣٤) بصائر ذوى التمييز (٢٨٢/٣)، معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، لأبي إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣٥) بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

(٣٦) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

(٣٧) تفسير الراغب الأصفهاني، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣٨) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي

البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣٩) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م.

(٤٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٤١) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٤٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز - جدة، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٤٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، البحر المحيط، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

(٤٤) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى

اليمني (المتوفى: ٥٣٧هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د. يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية) الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٤٥) فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم، الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ.

(٤٦) لسان لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

(٤٧) لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

(٤٨) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

(٤٩) معالم التنزيل في تفسير القرآن، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي
الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٥٠) معجزة القرآن، لنعمت صدقي، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية

١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

(٥١) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٧٩٩م.

(٥٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	**ملخص البحث عربي**	٦٤٧
٢	**ملخص البحث إنجليزي**	٦٤٩
٢	**المقدمة**	٦٥١
٣	أسباب اختيار الموضوع	٦٥٤
٤	أهداف البحث	٦٥٤
٥	التمهيد	٦٥٩
٦	• **المطلب الأول:** أسماء السورة الكريمة	٦٥٩
٧	• **المطلب الثاني:** عدد آياتها وكلماتها وحروفها	٦٦٢
٨	• **المطلب الثالث:** هل هي مكية أو مدنية؟	٦٦٢
٩	• **المطلب الرابع:** سبب نزول السورة	٦٦٥
١٠	• **المطلب الخامس:** نزول السورة	٦٦٧
١١	• **المطلب السادس:** مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها	٦٦٧
١٢	المقصد	٦٧٣
١٣	• **المطلب الأول: نعمة الخلق**	٦٧٣
١٤	**المسألة الأولى:** خلق السموات والأرض	٦٨٨
١٥	**المسألة الثانية:** خلق الإنسان	٦٩٨
١٦	**المسألة الثالثة:** خلق الأنعام	٧٠١
١٧	• **المطلب الثاني:** نعمة الإمداد	٧٠٩
١٨	**المسألة الأولى:** نعمة نزول المطر	٧١٦

١٩	**المسألة الثانية:** نعمة النبات	٧١٨
٢٠	**المسألة الثالثة:** تسخير الليل والنهار	٧٢٠
٢١	**المسألة الرابعة:** تسخير الشمس والقمر	٧٢٣
٢٢	• **المطلب الثالث:** تسخير البحر	٧٣٧
٢٣	**المسألة الأولى:** تسخير البحر	٧٤٣
٢٤	**المسألة الثانية:** إلقاء الرواسي في الأرض والأنهار	٧٤٦
٢٥	**المسألة الثالثة:** الاهتداء بالنجوم في البر والبحر	٧٤٧
٢٦	**الخاتمة**	٧٥٢
٢٧	**ثبت المصادر والمراجع**	٧٥٤
٢٨	**فهرس الموضوعات**	٧٦٢